

حركة الانصار الشيوعيين (1979 – 1988) مالها وما عليها .

لطيف حسن

أشبه بالتوضيح

اعتبرت حركة الانصار العراقية ، من التجارب الفريدة والرائدة في الحركة الشيوعية في المنطقة (تأسست في عام 1963) بعد انقلاب شباط الدموي ، وبهذا فهي الاقدم بالنسبة للأحزاب الشيوعية العربية ، التي شكلت حركتها المسلحة بهذا الاسم ، وأنتهجت طريق الكفاح المسلح و العنف في المواجهة ، عندما عجزت الاساليب السياسية التقليدية في التعامل والتعايش مع الانظمة الشديدة العدوانية والرجعية ، كنظام البعث الصدامي .

والحركة منذ تأسيسها ، وحتى توقفها بعد انفال عام 1988 ، قدمت للحزب الكثير ، من اهم ما قدمت له انها حافظت على جسم الحزب من كوادر واعضاء ، وأبقت على حياته ، في فترة تعتبر من اقسى الفترات التي تعرض فيها للأبادة ككيان في آخر محاولة للاعداء بهدف أفنائه من الوجود نهائيا، وقدمت من بين صفوفها للحزب في هذه الفترة وللمحركة الوطنية كوكبة مضيئة من الشهداء ، ننحني لهم اليوم اجلالا ، لعظمة المثل الذي قدموه في التضحية والبذل ، في طريق تحقيق تطلعات شعبنا في الحرية والديمقراطية والعدالة وعراق مزدهر، في ساحة النضال ضد القمع والديكتاتورية والفاشية والظلم .

وقد عشت في داخل هذه الحركة (1980 – 1988) وتابعت باهتمام حتى هذا اليوم الكثير عن ما كتب عنها ، خواطر ومراجعات ومديح ونقد ووثائق تقييمية ، ونتائج ادبية وفنية (شعروقصص وروايات وخواطرويوميات) بتأثير اجواء الحركة ، واصبحت منذ فترة من الرواد المدمنيين في

التواجد بغرفة ينابيع العراق البالتوكية ادخل فيها كمستمع بالدرجة الاولى ، أشبع في نفسي رغبة الفضول الشديدة لمتابعة مصائر واخبار رفاق الامس من الانصار ، واستمع الى اصواتهم بعد هذه السنين الطويلة من الافتراق عنهم ، وارصد تحولاتهم ، كيف يفكرون الآن ، اين يقفون اليوم من الاحداث العاصفة التي مرت بالعراق وبالحزب ، الكثير منهم مازالوا كما عهدتهم في ذلك الزمان ، وآخرين وهم ليسوا بالقليلين تغيروا ولااكاد اعرفهم اليوم.

وها انا قد تجاوزت عقدي الستين ، ومرت على توقف الحركة ثلاثون عاما ونيف ، خلالها شهد العالم و العراق تبدلات دراماتيكية كابوسية لم تكن في الحسبان ، رافقت بشكل متوازي نشوء و انتهاء حركة الانصار ، فالحركة قد توقفت عمليا بعد الانفال بخمس سنين ، و انتهت مبررات وجودها بعد ازاحة النظام بفعل الاحتلال الامريكي .

وهنا أحاول في هذا الحيز ان اجمع خليط من الخواطر والصور والذكريات المتفرقة والمواقف والملاحظات الشخصية عن الحركة (سبق لي نشر بعضها في موقع الينايبع الالكتروني الخاص بالانصار) عن سنوات النار هذه تحت عنوان (مالحركة الانصار وما عليها) مستعيرامع الاعتذار من غرفة ينابيع الانصار البالتوكية عنوان أماسيها (مالغرفة ينابيع العراق وما عليها) ، قبل ان يغيب هذا الكشكول من الذاكرة الى الابد بسبب تقدم العمر، او مغادرة هذا العالم او اي سبب آخر غير محسوب ، كتبتها ونشرتها بهذه الصورة كمراقب ومعلق ، ولم اكتبها بأسلوب المذكرات الذي يكون في العاده دور (الراوي) مبرزاً في الاحداث ، حتى لايفهم منها ان دوري الشخصي في هذه الحركة اكثر من ما هو في حقيقته المتواضعة والبسيطة ، وانا بطبيعتي اكره الاضواء مادام الذي قدمته كشخص ، هناك دائما يوجد بالمقابل من قدم اكثر وافضل منه في نفس المجال، ولا أعتبر ان وجودي في الحركة كان نموذجيا على الاطلاق ، بل تتحمل مسيرتي وتحملت الكثير من النقد ، فما انا الا جزء صغير جدا لا يذكر من بنيان بانوراما المسيرة العظيمة للحركة، التي هي الجديرة الوحيدة بالقاء الضوء المنصف عليها ،

حاولت في هذه السطور ان أمر على الحركة ككل بعموميتها ، وان لا أتوقف كثيرا عند سير الاشخاص قدر ما تناول الحركة كظاهرة تاريخية ببعويتها ، لكي لا اغرق في التفاصيل الصغيرة ، وأن لا اقع تحت ضغط رغبة التعبير عن مشاعر شخصية غير ضرورية من الاحداث التي تبعد

الموضوعية عن تتبع المسيرة بصدق ضمن ظرفها التاريخي ، وسأحاكمها معكم على هذا الأساس ،
بدءا من دوافع تأسيس الحركة التي كانت في تقديري صحيحة و مبررة تماما ، ولم يكن عند
الحزب خيار بديل آخر للدفاع عن وجوده غير سلوك هذا الطريق .

وقد استنقضت كما سيلاحظ في ذكر تفاصيل الجو الثقافي الذي كان سائدا في قواعد ومفارز الانصار
(الذين كان معظمهم من الشريحة المثقفة) فقد امتازت هذه النشاطات بالفرادة في مختلف حقول الثقافة
ميزت الانصار الشيوعيين عن باقي مقرات البيشمه ركه التابعة للقوى الحليفة ، حتى تحول الحديث عن
الثقافة ومتابعة همومها حاجة يومية واصبحت ضرورة عند النصير (المنقطع عن بيئته) في كل
المقرات والمفارز تقريبا ، الثقافة أصبحت في هذه الفترة صنو السلاح واهميته عند النصير الشيوعي .
وقد عمل هذا الجو الثقافي ، على التخفيف كثيرا من حدة ووطئة الانقطاع القسري عن اجواء النصير
الروحية والمدني التي كان متعودا عليها في المدينة التي جاء منها ، لقد خلق النصير خلال هذه السنين
وابدع في هذه القواعد ثقافة جديدة بديلة كنوع من التعويض عن ثقافة اضطر قسرا الى ان يبتعد عنها .

نحن (انصار) وغيرنا (بيشمه ركه)

الشائع عن معنى (الانصار والبيشمه ركة) انهما يحملان معنى واحد ، أي انهما تشكيلتان من
طينة واحدة ، الاولى تدعى (الانصار) تابعة للحزب الشيوعي او الاحزاب الشيوعية، والثانية تدعى
(بيشمه ركه) تابعة لاحزاب الحركة القومية الكردستانية التي تحمل السلاح ، و النصير هو البيشمه
رکه نفسه في كل شيء الا الاسم

(البيشمه ركه) هي الترجمة الكردية لما يقابل معنى النصير كوظيفة، وتقابل في العربية معنى
(الفدائي) ، والبيشمه ركة حرفيا تعني بالكردية هو الشخص الذي يضع الموت امامه ، أو يتصدر
الموت ، اي نذر نفسه للموت

صحيح ان طبيعة عمل البيشمه ركة والانصار متشابهان من الناحية العسكرية ، الا انهما مختلفان في التوجهات والاهداف عدا ماذكرنا في أختلاف الاسم .

حركة الانصار في العراق ، ارتبطت باسم الحزب الشيوعي العراقي ، وقد شكلها الحزب باعتبارها الذراع العسكري له ، للضغط باتجاه تحقيق الاهداف الوطنية والمصالح العامة التي تهددت بالخطر والتي رسمها في برنامجه ، وكان تشكيلها في كل مرة ، تشكيل ق سري غير اختياري ، اي اضطراري عندما يستبدل النظام السياسي علاقته الدبلوماسية الطبيعية بالعنف المفرط مع الحزب لحرفه عن اهدافه او تحجيم دوره في المجتمع وتهديد مستقبل وجوده ، فهي حركة نشأت للدفاع عن النفس لمواجهة عنف النظام بالعنف المقابل .

تأسست لأول مرة في البداية بعد انقلاب شباط 1963 ، متحالفة مع الثورة الكرديّة المندلعة في كردستان آنذاك وبمعاونتها ، باهداف وطنية عريضة معلنه لاتتعارض وتتفق مع اهداف الحزب (الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان) فهي ميليشيات تشكلت للدفاع عن مصير الحزب وانقاذ الوطن ، ولم يكن تشكيلها بنية ان تكون بديلا عن الحزب او تأخذ دوره .

فهذه الميليشيات من حيث الوظيفة ، ذات طبيعة مؤقتة ، تختلف عن طبيعة واهداف ميليشيات البيشمه ركة القومية المتعددة الولاءات لبرامج الأحزاب الكردستانية المختلفة ، وبأهداف قومية متواصلة و متدرجة غير مخفية حتى تحقيق الدولة او الكيان الكردي ، فالانصار يلتفون مع (البيشمه ركة) في هدف مرحلة تحقيق الديمقراطية الحقيقية للعراق وهو هدف وطني مشترك ، ويقرون للشعب الكردي بحقوقه القومية المشروعة بما فيها حق تقرير المصير والانفصال مترافقة جدليا مع شرط تحقيق الديمقراطية للعراق ككل أولا كضرورة لابد منها ، فالديمقراطية لكل العراق هدف استراتيجي ثابت لها .

هذا الهدف بالنسبة (لبيشمه ركة) الاحزاب الكردستانية القومية ، اتضح من مسار تطور القضية الكردية في العراق انه هدف مرحلي لايتصف بالثبات والاصرار على تحقيقه كضرورة ، فمن منظور القوميين الاكراد يمكن غض النظر و تجاهل شعار هدف الديمقراطية للعراق ككل والتسالم عليه لتحقيق نجاحات في الاهداف القوميّة الذاتية ، فالأهمية الأولية لهذه الاحزاب بكل اطرافها هو قطع اشواط الوصول لتحقيق الحلم الكردي في الدولة الخاصة ، بغض النظر عن شكل

هذه الدولة وجوهرها وطرق الوصول اليها وعلى حساب من .

هذا الاختلاف بين استراتيج الحزب الشيوعي، و تكتيك الأحزاب القومية الكردية ، المتمثل بالاختلاف في الموقف من الوطني والقومي ، الذي كان يظهر على السطح ، اثناء نضال الطرفين التحالفي ، و التضامن المشترك كنتناقض فيما بينهم من اجل تحقيق اهداف وطنية واجتماعية مهمة كالديمقراطية والعدالة والمساواة ، والوقوف الى النهاية بوجه الأستبداد والقمع بكل اشكاله التي تقوم بها النظم القمعية وحتى تحقيق الديمقراطية (من منطلقات فهم مختلفة) .

وهذا الاختلاف في الميل لتغليب المصالح القومية على المصالح الوطنية دون الربط الجدلي فيما بينهما في النضال ، كان يقف وراء سلسلة تكتيك التصالحات المؤقتة التي تلجأ اليها هذه القوى مع النظام والهدن الكثيرة و تجميد كفاحها المسلح ضدها المعروف في تاريخ مسيرة (البيشمه ركة) ، في فترات وجود مفلوضات لهذه الاحزاب مع الحكومه لتحقيق اهداف قومية ، حتى لو كان ثمن تحقيق هذه الاهداف هي اهداف وطنية كبرى متفق عليها ، كما حدث عند تخفيف الخناق عن النظام ومدته بالاسباب التي تطيل من عمره وحروبه العدوانية أكثر ، أي تخلى بعض احزاب هذه (البيشمه ركة) وبشكل غادر عن تحالفاتها ومواقفها من الحزب الشيوعي وقوات الانصار ودخولها منفردة في هدنة مع النظام ، و كان ثمن هذه الهدنة والمصالحة توجية ضربة موجعة الى قوات الانصار ، حلفاء الامس كما جرى في بيشت آشان الأولى (أيار 1983)

الصدمة و امتصاص الصدمة

الضرورات التي رافقت واوجبت اعادة تأسيس حركة الانصار الشيوعيين عديدة ومعقدة ، جرى الحديث عنها كثيرا من قبل اكثر من متابع لتاريخ الحركة أكثرينهم كان ينتمي الى صفوف الانصار، الذي عاش ميدانيا هذه الظروف .

بعد نجاح الثورة الايرانية بازاحة الشاه وقيام الجمهورية الاسلامية الشيعية ، بدأ صدام حسين يقرع طبول الحرب عليها وهي في طورها الثوري على النظام الشاهنشاهي ، للأجهاز عليها في المهد ، قبل ان تتجذر و يمتد لهيبها الى كل المنطقة ، ومنها العراق ، مرشحا نفسه لمنصب الشرطي في المنطقة بديلا عن الشاه الذي رحل توا ، واخذ ضمن هذه الاستعدادات يصفي ماكان يعتقد انهم مشروع محتمل لمعارضه مقبلة للحرب على ايران في الجبهة الداخلية ، ازاح احمد حسن البكر واعدم اكثرية اعضاء القيادة القطرية والقومية في حزبه ، و بدأ حملة تهجير غير مسبوقة في التاريخ من حيث القسوة والظلم للأكراد الفيلية ، وعدد آخر غير قليل من الشيعة بحجة التبعية الايرانية ، وتم طردهم وابعادهم عنوة الى داخل الحدود الايرانية ، بعد تجريدهم وسلبهم لحقوقهم الملكية المنقولة وغير المنقولة ، رافقتها حملة اعدامات تعسفية وتصفية واسعة لقوى وقيادة المعارضة الاسلامية الشيعية التي اتهمها بموالاة ايران ، والى الحزب الشيوعي حليفه في الجبهة لتحجيم دوره الاجتماعي ، وتقليم اظافره الى الآخر ، بدأ هجومه عليه بتنفيذ حكم الاعدام الصادر في وقت سابق بمجموعة من الشيوعيين العسكريين ، مترافقة مع حملة تسقيط واسعة شنت على اعضائه لأنتزاع التواقيع منهم على تعهدات التخلي عن الحزب والتعهد بعدم العمل في صفوفه لاحقا ، فأضطرت قيادة الحزب في هذه الاجواء القمعية الخانقة الى ترك العراق مربكة ، هربا من الملاحقة الاكيدة ، تلاها خروج كوادره المكشوفة ، ثم فلول القاعدة الحزبية الملاحقة من قبل الامن والمخابرات من الذين كانوا يختطفون يوميا بوضوح النهار من الشوارع .

وقع الحزب في ازمة حقيقية ، اندلعت الحرب ، واستمرت بعد ذلك طويلا كما هو معروف ، بتشجيع من الولايات المتحدة والمحيط العربي ، دون ان يلوح في الافق نهاية لها ، والحزب بكل كيانه تقريبا قد تم انتقاله الى الخارج ، او الاختفاء والعمل السري وهم قلة غير مكشوفة ، وخلفه في الداخل جيش واسع من الموقعين المراقبة تحركاتهم بشدة ، وما كان عليه للخروج من ازمته بعد الاستفاقة من الصدمة ، الا ان يفكر بالعودة السريعة الى ارض الوطن عن طريق بوابة كردستان ويللم نفسه هناك ، ويعيد تنظيم الحزب بعد الضربة قبل ان يموت كما مخطط له بالتقادم والانقطاع عن جماهيره ، ووضع امامه التجربة السلبية لكوار حزب تودة الذين سبق لهم ان انتقلوا الى الخارج وانتهوا هناك .

أضطر الحزب الى اعادة تأسيس قواة الانصار ، لتكون الوعاء الحزبي الذي يمكن أن يجمع فيه

كوادره و اعضاءه الملتحقين من الداخل ، و جذب العائدين من الخارج اليه حرصا منه على الحفاظ عليهم في هذا الوعاء

كان اول قرارات الحزب لاحتواء الازمة هو اعادة الذين تركوا العراق سريعا اليه قبل ان تتجزر فيهم روح الغربة ، واصبح قياس شيوعية العضو الحزبي في منظمات الخارج هي مدى استعداده للأخراط في تشكيلات الانصار والاستعداد للعودة السريعة ، وقد رافق التطبيق الميكانيكي على المسطرة الواحدة للجميع لفرض قرار العودة اجحاف كبير لحق بعناصر كثيرة مخلصا ارتبط كل حياتها بالحزب ، لم تكن مقتتعة او مستعدة آنذاك لاكثر من سبب شخصي مع العودة ، فأبعدت تعسفا عن صفوف الحزب ، وجرى التجنيد القسري بشكل عام لمعظم خريجي دراسات جامعات المعسكر الاشتراكي السابق ، وبعض خريجي الدول الاوربية التي لم تجد لها عملا بعد التخرج ، بغض النظر عن قناعاته الشخصية ، و واثرت في النفوس نزعة الحماسة العاطفية التي تشجع على العودة دفعت بالكثير من طلاب الدراسات في الخارج الى قطع الدراسة والالتحاق بالحركة شاباتا وشبانا ، وكان يكافأ الملتحق بالانصار من الخارج بدرجة حزبية اعلى ، وتمنح العضوية للأصدقاء قبل دخولهم الحدود ، عندما كان شرف العضوية والموقع الحزبي تعني الكثير للرفيق .

ان هذا التطبيق الستاليني لقرار العودة ، كلف الحزب الكثير من كوادره الكفاءة حتى التي نفذت القرار بدون قناعة ، و لم تحتمل صعوبات الحياة الجديدة ، لذا نجدها سرعان ما تركت كردستان والحزب الى الابد ، وقسم منهم من ترك وعاد وهو في منتصف الطريق المؤدي الى قواعد الانصار

هذا لايعني ان جميع الانصار قد اجبروا على الالتحاق بالحركة ، بل ان الاكثرية لم تكن معترضة ، ان لم تكن متحمسة ومندفة للتطوع ، ومنسجمة بشكل كامل مع قرار الحزب في انتهاج اسلوب الكفاح المسلح ، الا ان عملية التجنيد اذا اخذنا ها بحد ذاتها تمت بنفس عسكري وبيوقراطي خاطيء ، كان يمكن تحقيق نتائج افضل بأنتهاج أسلوب آخر في التطبيق اكثر ديمقراطية .

و الحزب حتى هذا اليوم لم يتوقف (عدا أشارات في وثيقته تقييم الحركة الانصارية)

ويراجع بما يكفي من التفصيل طريقة تطبيق منظمات الخارج لقرار العودة عند اعادة تأسيس قواة الانصار ، باعتبارها في تقديري من الاخطاء الكبيرة في تطبيقاته السابقة التي رافقت الازمة المذكورة التي مر بها ، وكان من نتائجها أحد اسباب تشكل التكتلات التي خرجت عن اطار الحزب بدعوى وأسباب وحجج شتى ، بعضها انتقل الى الصف المعادي فيما بعد ، واكتفى الحزب بالتبرير السطحي والتعليق الكلاسيكي الجاهز في توصيف الظاهرة بان الحزب في مسيرته الشاقة الطويلة ينفذ عن نفسه بأستمرار المتعبين والمتخاذلين والانتهازيين الطارئيين في صفوفه (وما كان أسهل آنذاك اطلاق هذه التهمة جزافا على اي فريق مختلف) ، وهي ضمن التبريرات التي كانت تساق حينها من انها كانت تجري ضمن عملية موضوعية صحية لتطهير ذاتي من العناصر الضعيفة في الحزب ، اي عملية الاصطفاء الطبيعي لبقاء الافضل ،

سمعت حينها تعليقا آخر مازال الى اليوم عالقا في ذهني ، من صديق لاجربي قريب من الحزب على قسوة العقوبات العصبية التي طبقت على المقاعسين من الرفاق عن الالتحاق بالانصار (وكان عددهم كبيرا ، كوادر واعضاء مخلصين شكلوا ظاهرة بوقتها في الخارج) ، بأن الحزب تحول الى مايشبه القطة التي تأكل اولادها حرصا وخوفا على اولادها الابرياء الذين لم يرتكبوا ذنبا ، واردف في توجيه حديثه لي ... انتم تحكمون بالاعدام على رفاقكم ، منظمة الانصار ليسرت الحزب كله ، ولايعني الحزب هم الانصار فقط ،

ان عملية جمع الشيوعيين عشوائيا شيبا وشبابا ، مرضى واصحاء ، بصفة انصار وبشكل مرتبك التي تمت فيها من مختلف المدن العراقية و بقاع العالم المتحضر بدون مقدمات كافية ، ونقلهم الى منطقة جبلية قاسية ذات طبيعة بدائية منعزلة ، بمعنى نقلهم الى بيئة غريبة لم يجربوا ان يعيشوا فيها ، لم تشكل لهم صدمة فقط ، بل خلقت في داخلهم (وبدرجات مختلفة) حالة من الاغتراب العميق عن المكان والناس واللغة والثقافة ، ان حالة الغربة والانفصال الخطير عن المكان والمجتمع التي حدثت في داخل النصير ، لم يعرها الحزب اهتماما وما تستحقه من الجدية ، ويضع لها حولا سايكولوجية مناسبة لطبيعة الانصار كبشر ، بدلا من الحلول الايدولوجية العسكرية الجامده ، والتعامل الكلاسيكي مع الأنصار باعتبارهم جيش ، او قطع بلا ارادة او مشاعر ، او انه م فريق من الكائنات السوبرمان ، ماداموا حزبيون ، فهم يمتازون اذا ، بطاقة تفوق طاقة البشر ، يختلفون عن البشر العادين في الأحاسيس والحاجات الطبيعية والتحمل الخارق

للصعاب .وفعلا تمسك الكثير من الانصار بهذه القيم الرفيعة الدافعة والافكار واخلص لها حتى الشهادة ، وقسم آخر رأى غير الذي سمع ، بعد ان وجد بالتطبيق انه مجند الى الابد في ظروف ملتبسة غير رحيمة ، وكان ثمن اصراره على طلب الخروج للأستراحة فقط ولبعض الوقت ، هو لفظه من بين صفوف الحزب ، وهذه كانت آنذاك تشكل كارثة ، لذلك سمي الانصار الألتحاق بالحركة تنذرا (بدرب الصد مارد) .

الحزب يقاثل بلحمه عاريا

كانت محاولة قيادة الحزب بعد انتقالها الى كردستان هو توجيه العمل الحزبي من داخل قواعد الانصار ، ووضعت في أولوياتها تنشيط العمل الحزبي في بغداد وباقي المحافظات الجنوبية ، وكانت هذه المهمة صعبة للغاية واشبه بالمستحيل آنذاك في الجو البولوسي الذي اطبق على كل شبر من العراق ، وكانت تجد محاولاته المتكررة في هذا المجال فشلا بعد اخر ، وهو امر متوقع ان تكون نتائج العمل بهذا الشكل في ظروف هجمة بوليسية شرسة لامثيل لها ، موجهه من نظام وحشي هيستري فقد صوابه كالنظام البعثي الصدامي ،

تم في البداية القاء القبض واعدام وتغييب عدد من قيادة الحزب التي تركت للعمل في الداخل (عايد ياسين ورفاقها) وسقط بيد العدو فيما بعد الكوادر العديدة الاخرى التي ارسلت للتنظيم ، منهم من اعدم بدون رحمة ، ومنهم من سقط بيد العدو ليجنّد للأندساس و للتجسس على الحزب ، والقسم القليل منهم نجح في الوصول الى ركائز ومواصلة التنظيم الخيبي اللا مرئي والغير فاعل ، أشباح ركائز ، موجودة ومنتشرة لكنها معزولة بشدة عن مجالها الحيوي (عمال وطلبة وشباب ومرأة) الذي تحول العمل فيها حكرا لمنظمات حزب البعث ، واطرها لصالحه منذ تجميد منظمات الحزب الديمقراطية في هذا المجال . الا ان الحزب رغم الاحباطات التي تلقاها في عمله لاعادة التنظيم في بغداد والجنوب ، ظل دؤبا ومتواصلا في العمل بدون كلل لتحقيق الاتصال الصعب مرة اخرى بال جماهير التي عزلت عنه قسرا ،

ان الحزب عندما تحول الى جسم للأنصار ، ود اينمو لحركتها بعد الضربة ، بقي على حاله هذا بدون تطور كبير لانقطاعه عن الناس ، الى أن توقفت الحركة بفعل الانفال ، لم ينجح الحزب في مسعاه ان يحول منظمة الانصار (التي تشكلت من كوادر واعضاء الحزب بشكل أساسي) الى حركة وسياج جماهيري حول جسم الحزب كما كان يأمل منها أو كما هو الحال عند البيشمه ركه في الاحزاب الكردستانية

بقيت المنظمة (عدا تنظيم الاقليم) معزولة في معظم المناطق عن جماهير المنطقة القليلة العدد اصلا ، سكان الشريط الحدودي الضيق المهجر اصلا ، وزيارات الانصار للمدن الكبيرة قليلة اغلبها زيارات ضرورية لتنفيذ عملية عسكرية مثلا ، او زيارات سرية لبعض الركائز لاتيتم في وضح النهار ، وبالتنسيق الكامل مع التنظيم الحزبي في الاقليم ، وحتى تشكيل الركائز و التنظيمات الحزبية في مناطق تواجد الانصار لكان حكرا على الاحزاب القومية الكردية ، وخط احمر غير معلن رسم للانصار على ان لايتجاوزوه ،

تأسست منظمة الانصار كمنظمة محاربة بالأساس ، وبقيت طوال الفترة تحارب بجسم الحزب العاري ، بدماء ولحم قياداته وكوادره واعضائه ، (وهم عدد محدود وثمانين لايع وض بني بصعوبة في فترة الجبهه ، لم يزددهم كثيرا بعد الضربة ، هم باختصار كل محافظ عليه الحزب من أفضل نخب رفاقه القدامى والجدد الذين التسقوا به مصيريا ، ولعبوا فيما بعد دورا هاما في اعادة تنظيمات الحزب وتنشيطها في كافة انحاء العراق بعد زوال النظام) ولم يتحول الانصار مع الأسف الى منظمة جماهيرية نامية منفصلة عن جسم الحزب ، الاسباب كما اعتقد كانت ذاتية وموضوعية .

الاسباب الذاتية

لم يكن الحزب الشيوعي العراقي ، فرع كردستان آنذاك في تقديري الشخصي ، فرعا فاعلا ومؤثرا في ساحة السياسة الكردستانية ، وقد وجه النظام الفاشي لتنظيماته ايضا ضربة ، حاله حال تنظيمات الحزب في بغداد والمحافظات الجنوبية ، لذلك لم يأخذ الفرع مكانه الفاعل والواضح بين الجماهير الكردية التي كانت لها همومها القومية وصراعاها من اجل البقاء مع النظام ، ولم يملأ حجمه الحقيقي الى جانب الاحزاب الكردستانية الاخرى ، كان مهمشا من قبلها ايضا بأعتباره من وجهة نظرهم فرعا لحزب عراقي اولا وامميا يبتعد عن الهموم القومية من وجهة نظرهم ثانيا ، اي لا تمثل اهداف الفرع تطلعات الحركة التحرر القومية الكردية ، فهو فرع لحزب اهدافه مؤجلة ، هو فرع لحزب عراقي تقليدي ، يحترم تاريخه النضالي الى جانب الثورة الكردية الاولى بقيادة مله مصطفى البارزاني ، التي شارك فيها الانصار بعد عام 1963 ، في معارك شهيرة حاسمة ، والتي اصبحت اليوم من التاريخ ، ولم يكن مستعدا بما يكفي عندما انتقل الحزب بأكمله ، وبسرعة من التحالف مع السلطة الى الكفاح المسلح ، فالفرع استعان بالانصار القدامى الشيوخ لتشكيل نواتة المنظمة في الاقليم ، ولم يسنح الوقت ليمهد جماهيره بما يكفي لهذا التحول الكبير ، لربما لعب رفاق الاقليم دورا مهما في اوصول رفاق الداخل الملتحقين الى قواعد الانصار ، وقدم مساعدات لوجستية للحركة في بدايات تشكيلها واستمرالى ان توقفت الحركة ، الا انها لم تغير من واقع الفرع الضعيف الصلة بالجماهير الكردية عموما آنذاك .

الاسباب الموضوعية

تعدد المهمات وكثرت التي كانت امام الحزب لعلها ، وكلها مهمات ذات اولوية قصوى أستجبت أمام الحزب لامتناس قوة الضربة ، والاستيقاظ من حالة الاسترخاء الذي كان عليه في ايام

الجهة ليكتشف انه لايمالك خطة مسبقة واضحة للانسحاب المنظم ، من مثل التحول السلس الى التنظيم الخيطي ، الانسحاب بدون خسائر كبيرة من العن الى الظل لرفاقه على نطاق واسع ، الدخول وهو في موقع المعارضة في تحالفات وطنية جديدة مع قوى معارضة اخرى تلتقي معها في هدف (انهاء النظام الفاشي واقامة البديل ، الحكم الديمقراطي والفدرالية لكرديستان) ، ان الغرق في حل هذه المهمات مجتمعة في آن واحد ، وفي ظل تسلط وارهاب الدولة ، لم يكن متاحا تضמיד الجراح سريعا ، والانتقال بمنظمات الحزب من التراجع الى الوضع الطبيعي ، ومنها (منظمة الانصار) لتحويلها كما يفترض ان تكون الى منظمة جماهيرية في منطقة تواجدها .

- تشكيل منظمة الانصار كوعاء تحافظ على جسم الحزب من التشتت والتآكل ، ومارافق تنفيذ هذه المهمات من ارباك وفوضى ، لاسيما التشابك بين طبيعة الحزب كفصيل سياسي ، وبين طبيعة الانصار كحركة عسكرية ، الذي افرز صراعات داخلية في قوات الانصار بين السياسي والعسكري من جانب ، وتشكيلات تنظيم الداخل والتشكيلات التي تؤمن بالنزعة العسكرية فقط من جانب آخر ، وبروز تناقضات من مكونات تركيبة الانصار أنفسهم كخليط غير متجانس ، من مثل العناصر العسكرية والفلاحية بالضد من العناصر المتقفة ومبدعى المدينة ، كان هناك اشبه بالمستحيل ان يفصل بين الانصار كونهم فريق عسكري جماهيري بحت ويطور على هذا الاساس ، وبين الحزب كحزب ، وبالتالي ازالة هذا التشابك المعقد فيما بينهما بسحب الانصار الى خارج جسم التنظيم ، أي أبقاء منظمة الانصار بعد تحويلها الى منظمة جماهيرية طابعها عسكري ، تشكل السياج الحامي حول الحزب .

- أغتراب الأنصار من غير ابناء كردستان عن المكان ، وكانوا يشكلون الاغلبية ، وعزلتهم الموضوعية عن محيط الناس بسبب عائق الثقافة واللغة ، والفهم المفقود المتبادل مع الآخر . بمعنى لم تكن لهم جذور في المحيط والمنطقة .

السباحة ضد التيار

عندما اختار الحزب الشيوعي العراقي مضطرا ، الانتقال الى مواقع المعارضة مع النظام وشكل قواة الانصار ، وبدأ نهج الكفاح المسلح ، واجهته مشكلة الأقناع والحصول على الدعم من الدول الاشتراكية السابقه والحركة الشيوعية وحركات التحرر لهذه الخطوة ، وفهمه بشكل صحيح وواقعي دون محاولة زج الحزب في اطار التياسر والتطرف الثوري ونزع الشرعية عنه كحزب اممي يمثل لمصالح وأهداف الاممية ، و عليه ان يوازن و لا يغلب عليها مصالحه الوطنية ، ويحذر من ان تتعارض مع التوجهات العامة للحركة .

ان القطيعة مع النظام الفاشي ، والانتقال الى مواقع المعارضة كانت بمثابة بداية السباحة ضد التيار الذي تعوم عليه المنظومة الاشتراكية وحركات التحرر الوطني العالمي بقيادة الاتحاد السوفيتي آنذاك ، الذي كان يعتبر واستمر يعتبر نظام البعث الصدامي آنذاك والذي كنا في تحالف معه ، جزء عضوي واطيعي من حركة التحرر الوطني ، وتربطه به علاقات تعاون ومصالح وطيدة في مختلف المجالات ، وهما يسران معا تحت مظلة العداة للأمبريالية الامريكية ، لتحقيق الاشتراكية في عراق المستقبل ،

استمر الاتحاد السوفيتي و معها المنظومة الاشتراكية في علاقاتهم الرسمية المتطورة مع النظام الصدامي والدعم المتواصل الذي لم ينقطع له رغم الضريبة التي وجهها هذا النظام الى الحزب الشوعي العراقي ، وفضل التزام مصالح الدولة والسياسة الرسمية المعلنة ، على التزام التضامن الرفاقي الاممي المفروض وجوده لدعم الحزب، وكان يمد الحزب بالعون المادي على استحياء شديد وبتكتم ، والعون العسكري في الحصول على السلاح كان يجري عن طريق طرف ثالث هي المقاومة الفلسطينية في لبنان .، ولم يكن بشكل مباشر دفعا للأحراج أمام النظام العراقي .

وكان لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية موقفا شجاعا ومشرفا الى جانب الحزب الشيوعي العراقي فقد دعمت حركة الانصار الشيوعيين العراقيين بالسلاح والتدريب العسكري وفتح عدد من دورات ضباط خاصة ، كان لخريجي هذه الدورات الاثر الكبير في قيادة وتطوير العمل العسكري في حركة الانصار لاحقا .

أسستهدت من عندنا اذاعتان

من الاشياء التي وصلتنا بشكل غير مباشر من الاتحاد السوفيتي كدعم غير السلاح ، جهاز للبت الأذاعي ، سلمت الى أعلام الحزب ، كانت أذاعة ارسال قديمة ، اذاعة أثرية بمعنى الكلمة تاريخ صنعها يعود الى عام 1950 من القرن الماضي ، ثقيلة مصرفحة بصندوق حديدي واقى مطلي باللون الاخضر العسكري ، قوية البنيان بحيث انها سقطت مع البغل الذي يحملها اثناء نقلها الى مقر الاذاعة في ناوزنك ، سقطت متدحرجة من اعلى السفح الى الروبار في قعر الوادي، ولم يتعرض الجهاز الى ضرر جدي ،

وكانت هذه الاذاعة المشاكسة يصعب الحصول على ادواتها الاحتياطيه ، فلذا ما احترق منها صمام مثلا ، ولم يكن لدينا احتياط لهذه اللمبه ، يعني ان الاذاعة ستتوقف الى حين غير معلوم ، فلم يكن الحصول على الصمام او بديل للصمام من الاسواق متاحا ، فقط من مصدر تصنيع الجهاز ، وهو مصدر للتصنيع العسكري السوفيتي موديله قديم جدا ، يكاد ان يكون انتاجه متوقف ، وهوائيتها (الانتين) كان يحتاج الى مكان مرتفع ومساحة طولية واسعة لنشرها ،

وقد اضطر الانصار الى اتلاف هذا الجهاز في احداث بشت آشان 1983 عند الانسحاب ، وحل محله في عام 1984 جهاز اذاعة حديث اصغر حجما واخف وزنا و افضل في الامكانيات ومدى الأرسال بما لايقاس ،، جرى شراؤه من لندن على ما اعتقد . ولم يكن مصير الاذاعة الجديدة افضل من مصير الاذاعة الاولى في النهاية ، اذ جرى التخلص ايضا منها الى الابد بدفنها مع اجهزة وحاجيات الاعلام النفيسة الاخرى اثناء اجتياح الجيش لمقرات الانصار في حملة الانفال عام 1988 .

لقد استفاد الاعلام من القدرة المحدودة لاجهزة الاذاعة التي ذكرتها استفادة قصوى في التحريض الجماهيري في بث يومي منتظم لمدة ساعة ، باللغتين العربية والكردية ، تكرر اذاعته في مواعدين

مختلفين في نفس اليوم ، وكانت السلطة تولي اهمية كبيرة في منع وصول هذا التحريض الى الناس بالتشويش عليها بأجهزة متطورة ، وكانت تسمع في كل انحاء العراق ، وتصل تغطيتها الى اجزاء من دول الجوار ، كالقامشلي السورية وبعض مناطق شمال الكويت

كانت اذاعتنا الأضعف في التقنية ومدى البث من اذاعتي اوك ، وحدك ، والامكانيات التي كانت متوفرة لأذاعتي اوك وحدك عالية جدا ونموذجية لانهما كانتا تبثان من مكانين مريحين من مدن وقرى كبيرة حدودية ان كانت عراقية او ايرانية ، بعيدة نسبيا عن ساحات المعارك والاجواء المتشنجة المباشرة ومحمية جيدا . وقد توفر للعاملين فيها كل امكانيات الراحة وأسباب العمل الاذاعي وما يحتاجه من اجهزة وتقنية فنية تفي بالغرض

وقد عمل في الاذاعة خلال السنوات العشرة هذه ، العديد من الانصار والنصيرات بصفات مختلفة ، مذيعين ومذيعات باللغتين العربية والكردية ، اذكر من المذيعين في القسم العربي ، مفيد الجزائري وجاسم خلف وعواد ناصر وداوود امين وايسر شوقي ، ونوروز لفترة قصيرة وغيرهم آخرين ، وفي القسم الكردي شاخوان وزوجته ، بهار احمد باني خيلاني ، ورفيق صابر ومحمود الدباغ ، وأستيرة (به رشه نك سعيد) و أيضا اخرين ولفترات قصيرة . وكان يقوم بعض المذيعين من هؤلاء بتحرير المواد المذاعة وكتابة التعليقات . وقد سقط اكثر من شهيد من الاعلام ، ومن الاذاعة بالذات اذكر من هؤلاء الشهداء المهندس عمار والمذيع ابو سعيد .

وفي القسم الفني كان الاقدم من عمل فيها ابونادية مهندس كهربائي، ترك الاذاعة وكردستان في بداية انطلاق الحركة ، وكان يعمل معه الشهيد عمار ولم يكن قد اكمل دراسته للهندسة الكهربائية ، وايضا صارم ، تلاه ابو سهيل وابو شهاب وابودجلة وابو قيس واخرهم كان سلام كبه .

و كان يكتب في التحرير اليومي للأذاعة ، خصوصا اعداد الكلمة الرئيسية بشكل أساسي المشرفين على الاذاعة من القياديين الذين تناوبوا الاشراف عليها بدءا من بهاء الدين نوري الى مهدي عبدالكريم التي شهدت على يديه أنطلاقتها الحقيقية ثم ماجد عبدالرضا و كاظم حبيب وعبدالرزاق الصافي ، الى جانبهم ولفترات قصيرة عبدالحسين شعبان وكاظم الموسوي ، الا ان هناك اسماء عملت في التحرير

لفترة طويلة كيجيى علوان ورضا الضاهر .

كانت أذاعتنا اذاعة قتالية ميدانية موجودة في موقع النضال الانصاري المباشر ، نجحت رغم بساطة وتواضع وبدائية الامكانيات في ان تخلق خلال عملها تقاليد عمل وكوادر وقدرة برمجة ممتازة لما هو متاح لها من امكانيات شحيحة ، تدرب كوادرها في ظروف العمل الاذاعي الميداني الفقير جدا والصعب في ساحة المعركة ، الغير مسبوقه كتجربة في كل شيء ، وامتاز اداء العاملين فيها بصفة الابداع والاختراع والتجريب في كل المناحي لتمشية عملها على الوجه الاحسن ، بفرعيها التقني ، المهندسون والفنيون والتشغيل ، وهيئة التحرير ، والمذيعين

ولم يبخل الحزب ايضا في تقديم خبرته التي اكتسبها في المجال الاذاعي الى بعض ألاح زاب الكردية الحليفة ، كالحزب الاشتراكي الكردستاني ، فقد استعار هذا الحزب الصديق من اعلامنا ثلاثة من العاملين فيه (محرر ومهندس ومذيع) وكنت احدهم ارسلت بصفة محرر وابو النور بصفة مذيع والمهندس ابو شهاب ، هذه المساعده الفنيه المقدمه لهذا الحزب لم تكن الاولى فقد سبق وان جرى التعاون معهم لأول مرة بعد احداث بشتاشان فقد ارسل لتشغيل اذاعتهم الجديده طاقم فني كامل منهم من المهندسين ابو سهيل وابو وليد ومن المحررين فالح عبدالجبار وزهير الجزائري . لم تغلح الجهود في المرة الاولى في تشغيل الاذاعه ، فقد تزامنت مع تعقد الوضع السياسي والعسكري بعد احداث بشتاشان وعبور الجيش الايراني الاراضي العراقية من كردستان وزحفهم على المواقع التي كان يشغلها الانصار .

الا انه في المرة الثانية تم البث بنجاح وبقي فنيينا المنتدبين للعمل في اذاعة الاشتراكي لمدة تزيد على الثلاثة اشهر ساعدوا في نصب وتشغيل اذاعتهم الجديده ، وتدريب سريع لكادر أختاروه من بيشمه ركتهم لتمشية وتسيير عمل الاذاعة في كل امورها التفصيلية لاحقا ، من الهندسة الفنية وأسس عمل التحرير الاذاعي والاخراج ، إضافة الى برمجة العمل اللاحق فيها .

وكانت هيئة تحرير المادة الاذاعية في صوت الشعب العراقي (اخبار وتعليقات واركاب اذاعية) قد تدربت على عملها في ظروف لا تتكرر في العالم ، ونجحت بجدارة بتغذية الاذاعة بالمواد اليومية التي لم تنقطع ، اعتمادا على التحرير اليومي المتواصل في الليل اعتمادا على متابعه

الحدث واقتناص الخبر من رسائل و تقارير المنظمات الحزبية التي ترد للقيادة ومن الانصات للراديو لمستجدات الاحداث ، ولم تكن الصحف والمجلات اليومية تصلنا لتكون مصدرا مريحا للخبر ، و كانت تشكل لنا حقا ثروة حقيقية ان وصلت صدفة حزمة من الصحف القديمة نسبي ا . ، وكانت صحف ومجلات النظام التي تصل الى المكتب السياسي في البريد الحزبي ترسل مباشرة للأعلام للأستفادة منها في الاذاعة اولا ، ومن ثم نعبدها بوجه السرعة لاطلاع القيادة عليها ،

وكان العمل الذي يؤديه الاعلامي النصير مضاعفا اذا قورن بعمل النصير العادي ، فأضافة الى قضاء جزء كبير من الليل على ضوء اللمبة النفطية ، او مصباح اللوكس في تحرير المادة التي ستسجل في اليوم الثاني ، يتم التسجيل في الاستوديو صباحا ، ثم يأتي الاجتماع اليومي لهيئة التحرير ، ويشغل الفنيون من المهندسين اجهزة البث ، وبعدها بدون فوصة راحة تأتي الأمور الروتينية العادية لتمشية وضع الفصيل من نوبات الحراسه الى خفارات الخبز وخفارات الطبخ وما الى ذلك والتي لم يكن يستثنى منها احد .

وكان مهندسوا الاذاعة الاكثر بذلا للجهد والتعب في الفصيل ، فالوصول الى موقع الارسال يتطلب جهدا ولىاقة و طاقة غير متوفرة عند الجميع لانها تقع بين الاشجار الكثيفة في اعلى مرتفع من الجبل حيث يكون المحل مختارا لكي يكون صالحا لنصب أنتين الارسال (الاريل) وتنصب قريبا خيمة جهاز البث ، وكان يتطلب الصعود والنزول لموقع البث اكثر من مرة في اليوم ، اضافة الى نشر الانتين ثم ازالته بعد البث خوفا من ان يكتشفه الطيران في النهار ، وحراسته جهدا يوميا غير عادي

النصيرات

ألتحق بحركة الانصار منذ بداية تشكيلها عدد من النصيرات ،من داخل العراق وخارجه ، وكن جميعا تقريبا ذوات تحصيل علمي جيد في مختلف الاختصاصات او طالبات قطعن الدراسة وهن في المراحل الاخيرة ، وكانت منهن الطبية والمهندسة وكل الاختصاصات الاخرى وحتى من بينهن مسرحيات من خريجات معهد واكاديمية الفنون المسرحية ، ومعظم النصيرات القادمات من خارج

العراق كن متحمسات حالهم حال الانصار الذكور ، قسم منهم قبل ان يأتين اجتزن دورات عسكرية على فنون القتال والدفاع ، وأخريات تدربن على فنون الاتصالات اللاسلكية والطبابة ،

كان التحاق النصيرات الشيوعيات بهذه السعة بقواعد الانصار في الجبل امرا غير مألوف على الحركة المسلحة الكردستانيه التقليدية ، ولم يكن مسبوقا عندالبيش مه ركه، عدا حالة او حالتين عرفتها الثورة الكردية الاولى الموحدة بزعامه ملامصطفى البارزاني ، وانتهت التجربة نهاية مأساوية بالقتل لاسباب عشائرية.

لم يكن قدوم النصيرات قد حضر او هيء له بشكل جيد ، وشكل قدومهن المكثف مشاكل عدة وارباك للقواعد التي استقبلتهن في البدايات واعباء ثقيلة، منها بنايات السكن القليلة والمحدودة ، وهذا تطلب بناء قاعات جديدة للنصيرات، وغرف صغيرة للمتزوجين منهم ،

وفي بهدنان عزلت في البداية النصيرات العازبات وحتى المتزوجات منهن عن خيم وقاعات الانصار ، وفسر بعض المتزوجين تصرف قيادة القاعدة بالرجعية والتخلف والتعسفية والصرامه الغير ضرورية في موضوع فصل الجنسين عن بعض في السكن بشمول هذا الفصل العوائل منهم ، واستمر اللغط وعدم الارتياح حتى حلت المشكلة عند انتهاء انجاز بناء قاعات جديده على عجل .

لم تكن اجواء القواعد الخلفية مريحة او تفرح النصيرات ، كن يعانين من سد ابسط المتطلبات النسوية العادية ، بدءا من حاجاتها الصحية الشهرية الضرورية ، وقد هجرن الماكياج، واخشوشنت ايديهن بالعمل اليدوي، حتى لم تعد تختلف النصيرة في الشكل والهيئة عن رفيقها النصير.

وعندما طالت فترة الكفاح المسلح، ازدادت الزواجات بين الانصار والنصيرات العازبات ، وكثرت العوائل والاطفال وانخلق عالم اجتماعي جديد غير محسوب في القواعد ، اثقل على طبيعة القواعد القتالية ولم نعد نحافظ على خفتها ورشاقتها في الحركة في كل الاوقات والظروف .

[نحن شيوعون لنا ذبول](#)

في بدايات عمل الانصار حدثت فجوة ونفور لم تكن طبيعية ، فصلت ما بين الانصار الجدد الذين نبعوا كغرباء فجأة في الشريط الحدودي المنقطع عن العالم والحضارة ، وبين سكانها القليلين المهجرين اصلا من نفس هذه القرى الذي عاد بعضهم اليها سرا لمواصلة زراعتها ورعاية اشجارها ، وبقيت هذه الفجوة النفسية الفاصلة على حالها لفترة ممتدة ، تعيق خلق علاقة عادية مريحة بين النصير وابناء المنطقة المنقطعين عن الزمن والتاريخ ،

لربما اختلف الوضع عند الانصار الشيوعيين المنتهقين من القرى المسيحية الذين كان جلهم من ابناء المنطقة ، وقيادة الانصار التي اعادت تأسيس الحركة ، فيها شخصيات كاريزماتية شهيرة من هذه القرى ، سبق وأن اشتهرت عند قيام الحركة في عام 1963 ، فوضعهم كان افضل في مجال العلاقة بالسكان ، ليس بعيدا عن تأثير قربي الدم والعائلة والعشيرة الواحدة ،

الفجوة كانت مستمرة فيما بين الانصار وما بين اهالي المنطقة طوال فترة نشر القواعد الانصارية على الشريط الحدودي ، و تعود بدايات هذه الفجوة المصطنعة الى بدايات الحركة الانصارية في المنطقة وقدم النصير الاول الغامض من غير القومية الكردية والذي يحمل ثقافة مختلفة ولغة مختلفة.

استغل بيشمه ركة الاحزاب القومية العاملة في هذه القرى ورجال الدين في الجوامع هذا الوضع ، وبدأوا ببث الاشاعات المكثفة العجيبة ضدهم ، والتي خلقت انطباعا سيئا مسبقا عن الانصار في مخيلة ناس المنطقة ، بهدف تحجيم دورهم وتأثيرهم على هذه القرى وللحيلولة دون ايجاد ركائز شيوعية منافسة لنفوذهم فيها ،

و كان الأنصار في مناطق برزان و بهدنان على وجه الخصوص عند تحرك مفارزهم الاولى اليها ، يفاجئون بتوجية أهالي القرى اسئلة واستفسارات غريبة عليهم من قبيل ، هل تؤدى فرائض الصلاة والصوم ؟ . هل تأكل من لحم الخنزير ؟ . هل صحيح انكم تطأون المحارم من أقربائكم ؟ . هل لديكم ذبول تخفونها تحت سراويلكم ؟ .(لاسيما مناطق برزان) التي تمتاز بالفقر المدقع والعزلة والتخلف والعشائرية ، الى جانب التدين الشديد وتقبل

وتصديق كل ما يقال لها من الاساطير والخرافات بقلب ابيض .

ان ازالة هذه الاشاعات والخرافات من اذهان الناس عن الشيوعيين تطلب وقتا من العمل الميداني والجولات المنتظمة الى هذه القرى المنقطعة وتقديم المساعدات الطبية لها و ضرب المثل الحسن لهم في البذل والتواضع والاخلاق ، وعدم الانتقال والاسائة أثناء ضيافتنا عليهم ، كان عملا غير سهل ، لكنه بمرور الايام اتت هذه الزيارات بنتائج جيدة في مجال تطبيع الاجواء وازالة الافكار والاشاعات الغير معقولة من اذهانهم ، وخلق نوع من الثقة والارتياح بين الانصار المختلفين من غير الاكراد الشيوعيين ، واهالي هذه القرى البسطاء من اللذين يولدون ويموتين فيها الناس بعيدا عن أبسط اسباب المدنية ، بحيث لا تسنح لهم في حياتهم القصيرة العابرة ، فرصة حتى زيارة طبيب ، او سد ابسط الحاجات الانسانية العصرية كركوب باص او سيارة في حياته ، أو حتى زيارة مدينة عادية لمرة واحدة ، ناهيك عن الحرمان الدائم من فرصة تعليم الأطفال في المدارس المعدومة الوجود في المنطقة

الأنصار يمارسون هواية المسرح في القواعد

في قواعد الانصار سبق وان تحدثت أكثر من مره في مناسبات مختلفه عن ممارسة الانصار للمسرح وعروضهم في مناسبات احتفالية عديدة ، في قاطع بهدانان كانت هذه الاحتفالات تتم على نطاق اوسع تمتد الى القرى الصديقه المحيطه بهذه القواعد ، كتبت متحمسا آنذاك لهذه الممارسة كظاهرة جديده فريدة تستحق التسجيل والدراسه لثغور من التجربة والخبرة المضافة الى المسرح العراقي ، ليس كمرقب ومشاهد فحسب ، بل مساهم ايضا في جزء من هذه التجربة.

واليوم بعد ان ابتعدت هذه التجربة عني زمانيا ، حدث هذا قبل اكثر من ثلاثة عقود تقريبا ، ومكانيا حيث انظر اليها الآن من الخارج بعد ان اكتملت واصبحت التجربة من الماضي ، أي من منظور مختلف وبأفق تقييم اوسع من الأفق السابق الذي كان يغلب عليه روح الحماسة،حيث

كنا آنذاك في داخل هذه الفعاليات وجزء منها .

(صعوبات جديده وعوائق امام المبدع)

لم تكن الحياة الخشنه الجديده في البدايه سهله التعود على المثقفين الانصار الذين توافدوا على المقرات الخلفيه من كل حدب وصوب ، لقد فاقت صعوبه الحياة الجديده عند ما بدأوا يعيشونها فعلا ، تصوراتهم السابقه المحلقه في الغيوم عن هذه الحياة ، وتبخرت صور رومانسية النضال التي انطبعت في اذهانهم من الكتب التي قرأوها عن حروب العصابات والكفاح المسلح وسيرة جيفارا وهوشي منه ، لم تكن حياة الانصار معارك كر وفر وقتال واقتحام في الجبال والغابات والوديان فقط ، عليهم ان يتعلموا في المقرات الثابته أولا ، إضافة الى ملازمة السلاح في كل وقت ، واليقضه والتوثب في أي لحظه تحسبا لحدوث أي طارئ ، أشياء جديده لم يقرأوها في الكتب ، كيف يخبزون رغيفهم بأيديهم وكيف يطبخون وجباتهم الجماعيه ، وكيف يتعاملون مع البغال في نقل المؤن ، وكيف تتعود اكفهم الرخوه الرقيقه على ان لا تتألم وأن تخشن وهي تحطب (بالتورداس) والبلطه ، وتجمع الاغصان والجذوع اليابسه من أشجار الغابات ، وتنتقل الاحجار الكبيره الملائمه للبناء وجذوع (السبيندارات) العملاقه الطويله من مكانات بعيده لتبني وتسقف بها قاعات اضافيه للنوم وللأنصار الجدد الذي يزداد عددهم يوما بعد آخر ، كان تصور الكثير منهم في البدايه ان هذه الحياة الغير طبيعيه لن تطول كثيرا ، فسرعان ماسينهار النظام (الأيل للسقوط ...!!) وتتحقق الاهداف و الأمانى

كان المبدع في هذا الجو المشغول والمتغير بأستمرار ، وفي منطقه منقطعه تماما عن العالم المتمدن وأسباب الحضاره التي ولد وتربى وتعود عليها ، كان لابد ان ينقطع الى نفسه احيانا في اوقات الاستراحات ، ويحن الى ممارسة عاداته القديمه التي افتقدها بشده ، قق قراءه جريدته اليومي ، ومكتبته التي تركها ، وفعل الكتابه ، والتمثيل ، والرسم . بدافع التعويض عن هذا المفقود ،

سيما انه بدءا يقتنع تدريجيا ان فترة الكفاح ستكون طويلة ما عادت قصيره كما كان يخيل له في البدايه وكما قالوا له (لوتلحك .. لومتلحك) وما عليه الا ان يرتب حياته الجديده التي اختارها بأرادته الحره ويتأقلم لأقامة اطول وفق هذه الظروف ، ويخترع ويستغل كل ما هو متاح ، في اعاده خلق شكل مقارب قدر الامكان لعوالمه المفقود ، فظهرت المجله الدفترية والمعارض التشكيليه المتنقله التي كان يحمل فيها الرسام رسومه وتخطيطاته في لفائف في حقيبة الظهر ويقوم معارضه في القرى التي تتوقف فيها المفرزه ،

وفي المسرح انتشرت محاولات ممارسة هذا الفن في جميع المقرات تقريبا أينما يصادف ان يكون هناك فنان مسرحي مبادر ، يلتف حوله شله من هواة التمثيل ، وجود الفنان المحترف كان أهم شرط في ظهور المسرح في قواعد الانصار ، هو صاحب الفكره والمبادر بها ، اذ لم تكن هذه الفعاليات مخطط لها من قياده مسبقا ، عدا وجود مناسبات احتفاليه يجب ان تملأ بالفعاليات ، ولتكن احداها مسرحيه مناسبه على مقياس الحفله ان وجدت، لكن مبادرة الفنان واصراره رغم كل الصعوبات التي ظهرت امامه ، جعلت قيادة القواعد تلتفت فيما بعد الى هذه النشاطات الابداعيه وتدعمها (من باب الاستفاده منها في الدعايه السياسيه والتحريك وملء اوقات فراغ النصير)، الا ان هناك بعض القواعد التي كان يقودها فلاحون اقحاح (ببشمه ركه عن أب وعائله) لا يرون من أوجه نشاط الانصار الا الوجه العسكري ، وان كانت هناك فسحه للراحه والتسلية فنقضى حسب ماتعودوا عليه في مجتمعاتهم الصغيره التي انحدروا منها (القرية) ، بالأغاني المرحة ورقصات الدبكات الكرديه الشعبيه التي لم يكونوا يعرفون او يستسيغون من مجالات التسلية غيرها ، ولم يكن النصير المبدع وحده المضطهد بل حتى المستشار السياسي الذي لاصوت له عمليا امام صوت وسلطة الأمر العسكري الفلاح ، (التعارض الذي بدى على العلن بين السياسي والعسكري في القواعد والمفازز) و (والعسكري والثقافي كنتيجة لتعارض العسكري مع السياسي الذي بطبيعته يميل الى الثقافي) فكثير من المسرحيات التي كان يباشر بالتحضير لها تتوقف وبعد ذلك تلغى بسبب تكليف عسكري مفاجيء لمعظم العاملين في المسرحيه ، والتكليف العسكري هذا لم يكن كما يتبادر الى الذهن من نوع المشاركه في عمليه قتاليه عاجله مثلا او ما يشبهه ، وانما في احيان كثيره المشاركه بمفرزه تموين روتينيه التي يمكن تكليف أي نصير آخر في القاعده بالمهمه مؤقتا لتلافي تعطيل العمل في المسرحيه ، بدلا من النصير المبدع الذي كان بدوره في الواقع مقتنع بأنه يؤدي مهمه من

نوع آخر أيضا لم تكن مفهومه من قبل العسكري الفلاح ، الوضع ك ان افضل في قاطع بهدنان ، لربما كانت القيادة العسكريه هناك اكثر انفتاحا وتفهما ،

ان الحاله التي ادخل في تفاصيلها تنحصر بالمنطقه التي كنت متواجدا بها ، وهي على كل حال اعتبرها نموذجا، سيما ان قاعدة ناوزنك وبعدها بيشتآشان قواعد مهمه تواجدت فيها فيها القيادة السياسيه ، أي لم يكن مايجري بعيدا عن انظارها

شكلت المجموعات العديده من هواة المسرح حول حفنة المسرحيين المحترفين اينما وجد احد منهم ، ولم تكن قيادة الانصار تنظر الى هؤلاء الفنانين الا بصفتهم مقاتلين فقط لاغير ، لذلك لم يفرغ أحد منهم للأبداع فحسب للاستفاده من طاقاته بحدودها القصوى ، وحتى من جرت الاستفاده منه في الاعلام ، بما فيها الاعلام المركزي ، وفرغ لهذا ال عمل ، لم يعفى من واجبات النصير في المقرات الخلفيه (دوره في الحراسه والطبخ والخبز وجمع الأحطاب ونقل التموين) ، ولم تصمد تجربته في قاعدة ناوزنك طويلا عندما جمع الانصار المبدعين في فصيل واحد بعد التوقف الاول للاذاعه سمي (بفصيل الفنانين) ، كان تشكيلا غير مفهوم من انصار اصبحوا زائدين على الخدمة ، فهم بلا دور ولا مهمه ابداعيه ، سرعان ماجرى تفكيك الفصيل عند عودة الاذاعه الى البث من هناك ، بعد سحب عدد قليل منهم للأعلام كمذيعين ومحررين والباقي نقل الى المفارز والفصائل الأخرى ،

ومرة اخرى عمدت قيادة الانصار الى تشكيل مماثل من بعض بقايا فصيل المتقنين والفنانين والمقاتلين المرضى في بشت آشان والمهمشين من الذين أعتبروا عبئا ، سمي بغير وجه حق بفصيل (تحت البطانيه) او (بدربك حبيب) كناية على ان انصار الفصيل هذا يقضون جل اوقاتهم في النوم تحت البطانيه ومن كسلهم لايتركون حتى أفرشتهم لتلبية حاجاتهم الشخصيه بل يعتمدون على تكليف الآخرين لمساعدتهم (بدربك حبيب) وفي الواقع لم يكن هكذا الحال في هذا الفصيل، فقد كان كأى فصيل قتالي آخر للأنصار ، بل قدم في اول معارك بشت آشان 1984 دفاعا عن قمه من قمم الجبال، اول شهيد للأنصار هناك هو الفنان شهيد عبد الرضا ، فهذا التلفيق بهذه الطريقه على هذا الفصيل والاشاعات التي ظلت تدور حوله وجعله مادة لتندر الفصائل الأخرى عليهم بهدف الاسقاط ، هو لايجر عن كونه جزء من النظره العامه المتخلفه التي انتشرت آنذاك بين صفوف الانصار تجاه هذا القطاع (المتقف) المختلف عن النصير التقليدي العادي بوعيه العالي

، والويل لمن (يحترق فلمه في الانصار) كما يقولون ، فمصيره سيكون حتى النهاية العزل
والتهميش .

وشكل للمرة الثالثة فصيل على هذه الشاكلة سمي بفصيل القناصة ، او فصيل الطياح ضم بين صفوفه
خليط من الانصار، من عضو لجنه مركزية سابق وكوادر متقدمة الى النصير العادي البسيط .

فصفات النصير البطل المثالي الشائع كان ، هو ذلك الذي يجيد التحطيب والطبخ والنفخ ورعي اغنام
وما عز الفصيل ان وجدت لديه اغنام وما عز واعداد البغل للحموله في المقرات والمفارز ، مثلما هو
قوي البنية يجيد القتال ، و شيء آخر مهم جدا ، ان يكون عسكريا مطيعا غير مناقش للتوجيهات،
النصير في مسطرتهم يساوي في المعركة ، بيدق ، لم يكن هناك أي تنسيق او تعاون او برمجته
مشاركه فيما بين الشلل الأبداعيه الصغيره الموزعه على مختلف قواعد الانصار المتباعده بعضها
عن بعض جغرافيا، والمتعذر تنظيم الصلات فيما بينها بسهولة ، ونادرا جدا ما يجري تشاور فيما
بين هذه المجاميع المشتته ،الغير ثابتة القوام أصلا ،

وإذا ما استثنينا الاحتفال المكرس ليوم المسرح العالمي في 27 آذار من كل عام ، والتي تتميز عن
الاحتفالات الاخرى بصياغة البيانات الخاصه بالفنانين الانصار ليوم المسرح العالمي ، وتقدم فيها
بعض الاعمال العالميه المتوفره نصوصها ، فجميع العروض الأخرى قصيره (لوحات - او مشاهد
- او من الفصل الواحد القصير) وتقدم كفقرة ضمن فقرات الحفله المنوعه التي يقيمها الانصار في
المناسبات الوطنيه والامميه ، داخل الغرف الكبيره او في الهواء الطلق ، ولم يتطور هذا المسرح الى
مدى ابعد بحيث يستقل وينفصل بنفسه عن كونه فقره م ن فقرات الحفلات المنوعه ، أي يتحول الى
مسرح خالص ، و حتى تاريخ الانفال (الذي وضع نهايه لهذا المسرح) لم يخرج المسرح الذي
مارسوه من مقرات قواعد الانصار نحو الجمهور الاوسع في الاراضي المحرره ، كانت هناك
بطبيعة الحال مح محاولات بسيطه ومحدوده لتقديم عروض في القرى في قاطع بهدنان ، والسليمانيه
، لكنها في المحصله قليله لاتذكر .

الفنان المحترف بعد ان أنخرط في صفوف الانصار ، بداء يمارس المسرح في قواعدها كهوايه بكل مايرافق ممارسة الهوايه من حب جارف لها وميل وعشق لايقاوم ، وليس كاحتراف ، حرفته في الانصار تبدلت من فنان الى مقاتل فقط ، وليس شيئا آخر ،

ان هناك عائقين موضوعيين خاصين بهذه تجربته ، حالا دون انتشار وتوسع نطاق مسرح الانصار الى ابعد من حدود المقرات هما :-

1- (اللغة) _معظم المبدعين الانصار كانوا من العرب او من الذين ثقافتهم عربيه ولايجيدون التحدث الا باللغه العربيه ، لذا كانت النصوص كلها تقريبا عربية اللغه (عدا القليل جدا منها مكتوبه باللغه الكرديه) مما ضيق من نطاق عرض هذه المسرحيات في حدود المقرات ، اي لجمهور الانصار العرب حصرا ، وعزلتها عن جمهور الكرد المحيط الاوسع ، أي لم يجر التفكير مثلا بتشكيل المفزعه المسرحيه التي تجوب القرى جنبا الى جنب مع المفارز العسكريه ، لوجود عوائق فنيه و موضوعيه جديه منها ان المفارز القتاليه كانت تستقر وتتحرك في الحزام الحدودي العازل والمهجر من السكان ، والقرى التي كانت تزورها معظمها عاد اليها حديثا سرا قسم ضئيل جدا من سكانها المهجرين وبحمايه البيشمه ركه والانصار ، لزراعة أراضيهم وقطاف الجوز والكرام او الرعي في الربيع . وحتى زيارة القرى الغير مهجره ذات الكثافه السكانيه والموجوده في العمق تكون عادة الزيارات اليها سريه للغاية ، لاتحتل أي نشاط علني كنشاط المسرح ، ليقول عنها انها شكلت اضافه نوعيه للمسرح العراقي فيما بعد .

2- (الوقت) لم يكن ممتدا بما يكفي الفنان النصير ، ليخزن و يهضم تجربه والواقع الموضوعي الجديد حتى يتمثل ويفرز فيما بعد صورته اصيله ومتميزه للمرحله ، لم يتشبع بالتجربه بما يكفي ليفرز مسرحيات نستطيع ان نقول عنها انها هامه ، عدا بعض المحاولات اليتمه ، فقد كان مايزال يعيش وفي داخل تجربه جديده غريبه عليه ، يعيشها بأنبهار في كل لحظه من تواجدته في القاعده او المفارز ، وكانت هذه المعايشه تطرح عليه بأستمرار عددا من المواقف والأسئله والمواضيع المتداخله ، بحيث يصعب علي اختيار أي موقف او موضوع لعمله ، وكيف يتناوله ، ومن أي زاويه ؟ ، كل م احوله جدير بالتسجيل والتناول (لحظات الانتظار في كمين - ردود افعال مجموعه محاصره - العلاقات بين المفزعه والقرية - العلاقات داخل

المفرزه نفسها) .

(محاولات وتجارب في المسرح)

حياة النصير اليوميه جرى تناولها في اعمال سريعه أقرب الى تقارير عن ما وقع ، وتسجيل من الخارج لحوادث متفرقه ، وقدمت هذه الاعمال بأسلوب مسرح (البروبوكا ندا) التي بدى فيها البطل المثل الخارق الغير عادي في الشجاعه والتصميم والاخلاق ، مجرد من كل ضعف انساني ، شخصيه وعظيه ، تثرثر بالشعارات ، شخصيه غير مقنعه او ان تكون موجوده تلتقي بها في الواقع ، يقابلها اللون الاسود (أعوان النظام) العدو التقليدي الحيواني الطباع ، الرذيل بالكامل .

حاول آخرون الاستفادة من حكايات رفاقهم وأحاديثهم وآرائهم بالاستعانه والاستفاده من خبراتهم الواقعية التي كتبوها في دفاترهم ويومياتهم .

في مسرحية (الجلاذ في ليله مقمره) ، نفخ المؤلف (زهير الجزائري) في روح الجلاذ نفحه انسانيه ، وايقض في زوجته ضميرها عند ختام المسرحيه ، بينما ظلت النصيره تلك ال بطله الكامله التي لاتكف عن الوعض والتي تمتلك الحجج وامكانيات أفناع الآخرين ، حتى ولو كان هؤلاء الآخرون جلادين ، وضالعين في الجريمه .

وبادر بعض آخر من الانصار لمسرحه القصائد الشعريه المتوفره لديهم (خصوصا اشعار سعدي يوسف ومظفر النواب) ونصوص اخرى شعريه و قصصيه وروائيه ، في محاوله لسد النقص في النصوص الملائمه التي لم تكن متوفره أصلا .

اتوقف بسرعه عند تجربة اعداد احدى هذه النصوص ، بدءا من على الورق و حتى العرض في الهواء الطلق في قاعدة ناوزنك .

اجتمع فريق العمل المسرحي، بعد ان تقدم احد الانصار الشاعر عواد ناصر بمشهد مسرحي

شعري قصي (سلمان الصكر) اعده من ديوان (الاسوار) للشاعر فاضل العزاوي التي سبق ان قرأها فريق العمل جميعا واعجب بها ، وكانت تدور حول أحدى الشخصيات المغموره ، في ثورة العشرين ، واجتمع الفريق مجددا وبدأوا العمل ، أعتبروا في البدايه النص المقدم محاوله اوليه ومسوده للعمل تغنتي جماعيا في سير التمارين . وهكذا عدل فيها بحريه من الجميع ، بحيث اصبح النص في العرض (قدم في احتفال الذكرى ال 48 لتأسيس الحزب الشيوعي العراقي عام 1982 في قاعدة ناوزنك) لايشبه النص الاولي الذي بدأوا العمل عليه ، ان هذا الشكل الجماعي من الم ساهمه والتعامل لأغناء مسوده النص ، اعطى فريق العمل الحريه الواسعه للتعبير الشخصي من خلال الخطوط العامه وخلق النص المفنقد الذي يخدم ما كانوا يريدون ان يقولوه بدقه .

التجربه الثانيه ، اعداد قصيده بوشكين (العجر) ترجمة حسب الله الشيخ جعفر ، قدمت المسرحيه بأسم (ضجيج العجر) التي تدور حول شخصيه رافضه ، الا انها غير ثوريه ، شخص هارب من القوانين القيصريه والمدن المزدحمه حالم رومانسي خرج يبحث عن الحريه التي افتقدها في عالمه المتمدن ، يبحث عنها في الطبيعه ، في الحياة البدائيه المنطلقه بلا قيود عند العجر ، لكن اعماقه تبقى مشوشه ، تحمل بذور الانانيه والتملك التي فطر عليها . لم يكن البطل يريد الحريه الا لنفسه فقط ، وهكذا يجد نفسه في ذات ليله انه غريب في اختياره الوحيد وهو يحمل في اعماقه عبء كل هذا المتراكم من المدنيه والتحضر ، في مواجه الحريه العجريه بأنطلاقها كله ، وتتهشم ايجابيته في هروبه من المدينه في قتل العجريه ، يصل البطل الى حالة تمرد ثانيه ، ينفي تمرده الاول رفضه للعبوديه والرياء في المدينه ، اراد في البدايه ان يكون عجريا حرا ، لكنه في ارتكابه القتل ، يجد نفسه متمردا على البدائيه نفسها .

لم يكن مهما على النصير معد النص (كتبها عندما كان اسيرا) ان يحافظ على ماكان يريده بوشكين في القصيده من اظهار التناقض في التصادم بين بيئتين (البدائيه والمدينه) انما كان المعد يؤكد على التناقض القائم بين حالتي البطل (الاولي والثانيه) يركز على اختيار البطل لنفسه لذاته ، بدل اختيار الطريق للحريه كقضيه عامه ومعقده ، تبادء من شكل السلطه ، وتنتهي بالقضاء على الاستغلال ، تدفع بمفهوم الشخصيه العجريه الاساسيه كما تناولها بوشكين الى الورا .

في المسرحية جرى التركيز على البطل السلبى ، فأصبحت المسرحية بالتالى دعوه للبحث عن الحريه في المكان الذي لم يكن يعرفه البطل في القصيده .

ان مسرحية الشعر والكشف عن القيمه الدراميه فيها ونقل صورها للمشاهد مهمه ليست سهله كما يتبادر للذهن ، لربما كانت قصيده (بوشكين) غنيه بالبذور الدراميه والتسلسل منطقي للحكايه اصلا أكثر من غيرها من القصائد التي قدمت ، مما جعل اعاده صياغتها في الأطار مسرحي ناجحا

الى جانب هاتين المحاولتين ، كانت هناك محاولات عديده للتعامل مع الشعر مسرحيا ، ولكن كانت النتيجة في احيان كثيره انهم قدموا الشعر على المسرح فقط ، وعجزوا عن مسرحية الشعر ، عجزوا عن الوصول الى روح المسرح في الشعر الذي انتقوه أي (الدراما) .

نادرا ماتتوفر النصوص المسرحيه العراقيه والعربيه ان كانت ام العالميه المطبوعه في قواعد الانصار ، وعندما يتوفر هذا النص ، سرعان مايسارع الفنان النصير الى تقديمه في قاعدته ، ثم يستنسخها بخط اليد ليرسلها الى زملائه في القواعد البعيده الاخرى للاستفاده .

من اهم هذه المسرحيات المقدمه من قبل اكثر من مخرج (ليله السكاكين الطويله) التي اخرجها لأول مره الفنان شهيد عبدالرضا في قاعدة ناوزنك ، و (عند الموقد) لناظم حكمت التي قدمها علي رفيق في اكثر من مكان للانصار كما كان يفعل ايضا مع اعماله الأخرى ، حيث ينتقل هو وفريقه الى الجمهور حيث يكون ' من اعماله التي تنقل بها (الليالي البيضاء) عن دستونيفسكي (روح اليونورا) ليونا تشارسكي و (كيف تركت السيف) لممدوح عدوان .

وقدمت أيضا (القرار) لبرخت في اكثر من قاعده ولمخرجين مختلفين ، و (ضرر التبغ) لتشيكوف... الخ

من اكثر الفنانين الانصار غزاره في تأليف المسرحيات الشعبيه الناجحه التي قدمت ولاقت تقبلا جيدا من المتفرجين ، وشارك اضافه الى اخراجها ، تمثيل بعض شخصياتها هو الفنان عدنان

اللبان في قاطعي السليمانيه اولا ، ثم بهدنان ، يليه محاولات ابو النور ، وحيدر ابو حيدر بين تأليف واعداد، وآخرين كتبوا عملا او عملين (راجع الملحق).

وجرت محاولات ايضا لتقديم بعض مقاطع من حواريات برخت الشهيره ، واستكملت التمارين عليها في بعض القواعد ، لكنها لم تقدم لأسباب مختلفه .

و قدمت تقريبا في كل قواعد الانصار في عيد نوروز مسرحية (كاوه الحداد) باللغه الكرديه ، وهي ليست مسرحيه واحده ، انما مسرحيات عديده منها مكتوبه ، ومنها معده ، ومنها ارتجاليه مهرجانيه تدور حول اسطوره كرديه قديمه يعيد الكرد روايتها في كل عيد نوروز واصبحت تقليدا وطقسا من طقوس نوروز الكردي ، تدور حول ملك مستبد وظالم يدعى الضحاك ، مصاب بداء عضال مؤلم لارجاء من شفائه منه ، وصف له الأطباء ان يأكل كل يوم دماغ طفل من اطفال المملكه لتسكين آلامه المبرحه ، يزداد سخط ناس المملكه عليه الى مديات لاتحتمل ، فيقوم احد الحدادين اسمه كاوه بقياده ثوره شعبيه تطيح بالطاغيه ، وتوقد النيران فوق قمم الجبال لنشر خبر زوال الطاغيه (الشر) وانتصار كاوه (الخير) ، نستطيع ان نقول عن هذه الفعاليه المهرجانيه السنويه التي قدمها الانصار ، انها الوحيدة التي قدمت الى الجمهور الحقيقي الواسع ، جمهور أعد نفسه مسبقا للأحفال بالمناسبه من السكان الفلاحين العائدين الى القرى

(من سماء المسرح الذي بناه الانصار في كردستان)

من فوائد ابتعاد المسرحي النصير عن المدينه ، حرره من قيود البناءه المسرحيه (معظم العروض التي قدمت جرت في الهواء الطلق ، او داخل قاعات نوم الانصار الفسيحه ، او على سطوح البنايات الواسعه ، وتجربة الفنان روبرت المتميزه في التحوير الطفيف بالمكان الطبيعي لخلق مايشابه المسرح الروماني) بدون ديكور يذكر في كثير من الأحيان ، واستخدام الأدوات البسيطة المتوفره ، كالبطانيات ' نستطيع ان نطلق عليه بدقه صفة المسرح الفقير .

ماكان يجري على خشبة المسرح في المدينه التي تكشف عنها الستاره هو الحلم الذي ينقاد فيه

المتفرج المسحور الى داخل عالم المشهد ، لم يكن من السهولة تحقيق هذا في مسرح الأنصار الذي كان يفتقر الى ابسط الأدوات التكنيكية المسرحية اللازمة لذلك ، بل لنقل انها معدومة تماما ، وما كان يستخدمه هي الادوات المتوفرة البديله ، فالفوانيس والتورجات اليدويه مثلا استعارت وظيفة بروجوكتورات مسرح المدينة ، عندما تعذر على الفنان الحصول على قاعة و خشبة المسرح التقليديه بكل ما فيها وعليها من اجهزه مساعده ، وجد نفسه يحول أي مك ان متوفر ، واي شيء يقع بيديه لاستخدامها كأدوات مسرحية الى وسيله اتصال والتحام بالجمهور ، انه خلق بدون ان يدري علاقه جديده بين المتفرج والمسرح ، غير تلك العلاقه السابقه (بين الساحر والمسحور) تتطلب من المتفرج درجه عاليه من التجريد ، فالممثلون معروفون لهم بالأسم ، رفاقهم في نفس الفصل ، ملابسهم على المسرح عادة نفس الملابس الموحده التي يرتديها كل الانصار ، والديكور البسيط ان وجد شارك في اعداده الممثلون والمتفرجون معا ، وقد تكون بعض البطانيات المستخدمه في الديكور قد استعيرت من بعض المتفرجين الذين في احيان كثيره قد سبق لهم ان حضروا تمارين المسرحية التي كانت تجري امامهم في القاعه . أي ان جمهور هذا المسرح يحضر لعبه مكشوفه منذ البدايه ، ومتعته انه يعي اسرار اللعبه التي تجري امامه بتفاصيلها ، لهذا نراه يقض ويحاكم بدقه ما يراه ، وليس مأخوذا ومبهورا بما يقدم له ، وقد يشاركون بحيويه في نهاية عرض المسرحية بمناقشة فكرة المسرحية وطريقة عرضها وقد يجري اسقاط احداث المسرحية على الاوضاع الآنيه ان كانت سياسيه او اجتماعيه ، حدث هذا في مسرحية (عند الموقد) التي كانت تعقب كل عرض ندوه يديرها المخرج والممثلون مع الجمهور ، تدور حول المسرحية ومسرح ناظم حكمت ، ويجري الاخذ بكثير من الملاحظات الناضجه للمتفرج في العروض القادمه .

فريق عمل مسرحية (في اقبية التعذيب) ظلوا أمناء على محاكات حرفية وتقاليد المسرح التقليدي في المدينة ، التمارين كانت شبه سريه غير مسموح بحضورها لغير العاملين فيها ، حولوا غرفة نوم كبيره للأنصار الى مايشبه بقاعة مسرح ، قسمت الى نصفين ، نصف للمتفرجين والنصف الآخر خشبة مسرح بديكور واناره بواسطه المصابيح اليدويه ، و أجروا ماكياج للممثلين ... الخ ، وبسبب هذا النقل للحرفيه كما تعلموها اكاديميا ، دون ان يفكروا بوسيلة جديده ملائمه للاتصال تقتضيها ضرورات واقع الحال والامكانيات المتاحة ، ان افتقارهم لعنصر ابداع الجديد في عملهم هذا جعلهم يخسرون أكثر من 80% من الجمهور الذي حضر حفل يوم المرأه العالمي الذي لم يتسنى له

ان ينحشر مع القله القليله في نصف الغرفه الضيقه .

الذي احب ان اقله ان المسرح في قواعد الانصار كان مسرح الممثل في غالبية عروضه المميزه ، كل ماكان يملكه هذا المسرح هو الممثل وقد تخلص من كل طفيليات خشبة مسرح المدينه (الماكياج والاناره والديكور وطرز الملابس) التي تختزل طاقة الممثل وتخفي عيوبه ، الممثل في مسرح الانصار مكشوف وعاري عليه ان يعوض بأبداعه عن كل ماكان يعينه في الايحاء على خشبة مسرح المدينه من تكنيك واجهزه، ان يبذل جهدا اكبر مع نفسه لتطوير قدراته على الايحاء الدقيق بواسطة مايملك من امكانيات في الصوت ولغة الجسم ، وهو بحق كان تجريبيا في كل اجزائه وادواته.

والمخرج بسبب الامكانيات المتنوعه التي يوفرها له الشكل الجديد لمكان العرض ، لم يعد مقيدا بقواعد تحريك الممثل على خشبة المسرح التقليديه ، أخذ يعمد الى التجريب في التشكيل بحيث يتلائم وحاجات المكان ، ويتلائم مع الصله الجديده بالمتفرج ، حيث يشتركان ويلتحمان معا في المكان الواحد بدون الجدار الرابع المفترض .

هذه الظروف ، ساعدت الكثير من الذين عملوا للأسترشاد وتحبيذ الاستعانه بالمسرح التعليمي كأسلوب تقديم (سلمان الصكر) و(ليلة السكاكين الطويله) و(درس في الأملاء) .. ومسرحيات اخرى .. والبعض قدم الكوميديا الخالصه التي تعتمد على الهزل المبالغ فيه كما في (جحا والسياسه) وغيرها ، الى جانب الكوميديا الشعبيه السوداء التي عمد عدنان اللبان تضمينها في معظم مسرحياته التي قدمها ، ومنهم من التزم بصرامة العرض الواقعي (روح اليانورا) وخلط بين الواقعيه والتعليميه كما في(عند الموقد) ونفس مخرج هذه المسرحيه اعتمد طرق الفرق الجواله ' الممثل يسعى الى جمهوره ، ينتقل الممثلون بسلاحهم ومعداتهم من مقر الى مقر آخر قاطعين المسافات والطرق الجبلية الوعره . وهناك مسرح الارتجال المتمثله في بعض عروض عيد نوروز (كاوه الحداد) .

ان غزارة تنوع مسرح الانصار يعكس دأب الفنان النصير المتواصل وحبه للخلق وا لتجريب ، وعمله الغير منقطع رغم كل الصعاب الموضوعيه في ظروف صعبه جدا ، لتحقيق التواصل الفني ، كانت البدايه من لاشيء تقريبا ، عدا مايملك من ابداع ، واستخدم البيئه والطبيعه والصخور كمكان للعرض ، وانطلق بيني المسرح الفقير في الشكل والادوات بمايتوفر له ، ليبرز ويؤكد بشكل كبير

على ملكات الممثل الطبيعيه .

(متفرج المسرح فى قواعد الانصار)

يقول رسول حمزاتوف ' ان المغني الداغستاني يسأل جمهور المستمعين عادة قبل البدء بالغناء ، عما يحبون ان يغني لهم ؟ السعاده ام الحزن ؟ .. وغالبا مايكون الجواب ، ليكن غنائك عن الحب ، لكن على ان يتضمن شيء من الكراهيه أيضا ،وليكن عن الكراهيه ولكن على ان يتضمن الحب ، وليكن عن الحزن على ان تحس فيه السعاده ، او عن السعاده التي تتضمن الحزن .

هذه المشاعر المتناقظه يتوق اليها الجمهور بمختلف اصنافه ، دون ان نستثني جمهور الانصار ، هذه هي مهمة الفنان ، بما فيها مهمة المسرحي النصير ، هي تحريك المشاعر المختلفه للجمهور ، والسمو بها .

وجمهور المسرحيون الانصار جمهور مقاتل ، جمهور مدينه ، الغالبية منهم متعلم ، (طلبة جامعات وخريجون) جمهور واعى سياسيا ، ومتمدن يتذوق المسرح والفنون والأدب ، وله اهتمامات متعدده اخرى سابقة ، وشائج متشعبه وقويه بالحياة التي تربي وتعلم منها ، لذا كان من الضروري ان يجسد المسرح المقدم لهذه الشريحة ويعكس كل تنوعات الحياة ، فالنصير المتلقي هو انسان غير مقطوع عن احلامه وطموحه وحنينه للعالم الطبيعي الموجود بعيدا خارج المقرات المعزوله ، فحياته كمقاتل في الواقع هي الاستثناء ، لذا كان يتوق ان يقدم له المسرحي ، دفء البيت البعيد في المدينه، حيث الزوجه والحبيبه والاسره ، يتوق ان يرى المشاكل الاسريه التي تحل بالنه ايات السعيده ، او مافعلته الغيره بالمغربي عطيل ، وبقية الهموم الانسانيه في العالم الواسع ، بدلا من عكس وجه واحد فقط من الحياة الراهنه التي يعيشونها ، صوره مزيفة لحياتهم كانصار خارقين ، معجونيين من طينه خارقة تفوق طينه البشر .

هذا الجمهور كان جمهوراً دقيقاً وناقداً أيضاً ، لم يكن رحيماً تجاه م يقدم له أحياناً من أعمال مسطحة (مفرزه قتاليه) فبدلاً من يثير المشهد التراجيدي عنده شعور الحماسه والتعاطف والاعتزاز بالبطوله وقوة المثل التي ابداهها البطل في المفرزه ، أثارت مشاعر معاكسه تماماً ، بسبب الاختيار غير المناسب للممثل ، وادائه الضعيف .

في مسرحية (عند الموقد) فتح المخرج والممثلون حواراً مع الجمهور حول مسرح ناظم حكمت ، وتطور الحوار ليمتد الى المسرح السياسي في العراق ومشكلاته ، وماذا يريد الانصار من الفنانين ان يقدمون له ، ثم تلتها اقتراحات ذكيه حول النص وطريقة العرض .

في الجبل يحتفل الانصار ايضاً بيوم المسرح العراقي

27 آذار من كل عام ، كان يوماً خاصاً ومتميزاً بالنسبة للمسرحيين الشيوعيين الانصار طوال الفترة ما بين (1978 – 1988) عندما كانوا مضطرين لحمل السلاح في صفوف الحزب ضد الدكتاتورية القائمة آنذاك ، كان اختيار الفنان المسالم والرقيق بطبعه ، لطريق العنف في الكفاح الى جانب الحزب هو بدافع الدفاع عن النفس ، لم يكن امامه غير مواجهة العنف العدواني المقابل لردعه ووضع حد لفاشيته التي استشرت وبطشت بكل شيء ، ان ذيول وحشية النظام السابق شوهدت حتى توجهات الانسان واهتماماته العادية ، بما فيها الفنان الذي استبدل بدون خيار منه الريشة وخشبة المسرح بالبندقية ، ونرى اليوم بوضوح ذيول هذا الخراب العميق الذي احده النظام السابق في المجتمع والذي مازال مستشرياً ومستمرًا حتى بعد سقوطه ، وليس هناك في الافق القريب من شفاء لهذا التشوه الحاصل في النفس البشرية .

وعندما يحل الربيع من كل عام ، كان المسرحيون الانصار ينتظرون حلول هذا اليوم بلهفة شديدة ، ويستعدون له ، ويحولوه الى يوم فرح غامر وبهجة تشيع في نفوس الانصار جميعاً في كل المقرات الخلفية و المفارز المتحركة في القرى والوديان الأثرية الربيعية ، كانت المناسبة تشحن الفنان النصير بالجمال والامل و تعميق شعوره بالخلاص القريب ، هذه الشحنات التي تلمسها بوضوح في ثنايا رسائلهم المسرحية المتفائلة التي كانت تصدر عن تجمعاتهم في مختلف الفصائل والقواطع والموجه الى المركز الدولي للمسرح التابعة للأمم المتحدة . ،

كان المسرحيين الانصار في المقرات الخلفية ، سيما في الاعلام المركزي ، يتابعون بشغف عن طريق الانصات لجهاز الراديو للحصول على نص بيان المركز الدولي للمسرح ، الذي يلقيه كما هو معروف في كل سنة فنان مسرحي عالمي ، وهي عبارة عن الرسالة الدولية التي يصدرها المركز بالمناسبة ، وتداع في كل العالم و التي تدور حول وضع المسرح في الوقت الراهن ، و الامنيات والمهمات الانسانية المقبلة التي يجب ان يضطلع بها المسرحيون في كل العالم ، باعتبار المسرح احد دعائم السلام والمحبة والاخوة بين بشر العالم بغض النظر عن العرق والجنسية واللون ..

وعندما يتعذر الحصول المسبق لنص البيان الدولي ، كان النصير المسرحي يصوغ رسالته الخاص به ، وهنا اورد كنموذج احد نصوص البيانات العديدة التي صدرت في المقرات الانصارية ، والتي رفعت ايضا الى المركز الدولي للمسرح (بيان احتفالية عام 1981) ،

.....)) (... يوما بعد يوم تشتد وتتصاعد حملات الارهاب والقمع الدموي من قبل النظام الديكتاتوري في العراق ضد القوى الوطنية والتقدمية المرتبطة أوثق الارتباط بجماهير شعبنا وأبنائه الكادحين ، وقد أصابت هذه الحملة بالتأكيد ثقافتنا الوطنية الاصيلية ، فأغلب الابداء والفنانين الموهوبين غادروا الوطن هربا من بطش السلطة واساليبها القمعية ، ولأنهم رفضوا ان يكونوا مجرد ابواق ذليلة للسلطة الديكتاتورية المعادية للفكر التقدمي والانساني ، وما عاد خافيا ان المؤسسات الادبية والفنية شهدت انجازا ملحوظا في نشاطاتها وفعاليتها في هذه الاجواء الفاشية . واذ يحتفل مسرحيو العالم في كل مكان بهذه المناسبة الغالية ، وتقام المهرجانات المهرجانات المسرحية وتبارى الفرق المسرحية في تقديم ابداعاتها وتصبح ابواب المسارح مفتوحة للجماهير ، وتعقد الندوات لمناقشة اوضاع المسرح في البلدان المختلفة ، يهمننا ان نعلمكم ان الحركة المسرحية في العراق التي قدمت في السنوات التي سبقت الحملة الفاشية ، مهرجانات ضخمة ومميزة بهذه المناسبة المجيدة ، ماعدت قادرة خلال السنتين الماضيتين على مواصلة تقاليدھا الثرية بسبب مساعي السلطة لفرض صيغة ضيقة على هذه المهرجانات وتفريغها من مضامينها التقدمية واشكالها المتطورة . فكان آخر مهرجان اقيم في العراق بانسا وكئيبا محدود الفعالية ، ولذلك تفكر بعض رموز السلطة بالغاء هذه الاحتفالات بحيث تقتصر المناسبة على اقامة حفل رمزي بالمناسبة بحجة ان ظروف الحرب العراقية الايرانية غير ملائمة لمواصلة تقاليد المهرجانات السابقة . ويهمننا نحن المسرحيين المقاتلون في ذرى كردستان نواصل تقاليد الحركة المسرحية الاصيلية في بلادنا ونحن نرفع البنادق بوجه السلطة ، لكي تنضج زنايق الحرية في بلادنا ، واذ نشارك العالم أحتفاله بهذه المناسبة المجيدة ، يشدنا التوق الى الاطلاع على رسالة المسرح العالمي لنقرأها على زملائنا المقاتلين ، أملين ان يكون هذه اليوم حافزا لعطآت وابداعات افضل في ميدان المسرح ، حافزا لتجسيد التلاحم والتضامن ، وحتى ترتفع راية الحرية والديمقراطية في عراقنا المناضل ، نشد على أيدي شغيلة المسرح في العالم أملين منهم رفع اصواتهم عاليا لنصرة زملائهم في العراق وتعزية ممراسات السلطة الفاشية في العراق ضد شعبنا المناضل وخيرة مثقفيه ، ونعدكم بأن نواصل القتال من اجل بناء عراق حر للعرب والاكرد ، وكل القوميات والاقليات المتأخية ، وطن للديمقراطية والابداع.....))

كان الانصار المسرحيون يستعدون جيدا قبل فترة مناسبة لاحتفالات مناسبات شهر اذار الكثيرة بشكل خاص ، بعدد من مسرحيات المناسبات التقليدية ، فهناك مناسبة يوم المرأة ، واليوم الاستذكاري لشهادة سلام عادل ، واعياد تأسيس الحزب ورابطة المرأة والشبيبة الديمقراطية وعيد نوروز الذي يصادق في نفس اليوم عيد الام والذي اعتاد فيه ان يقدم فيه الانصار مسرحية تدور حول اسطورة (كاوة الحداد) وقد اعدت هذه الاسطورة اكثر من مره للمسرح ، بعض هذه الاعدادات باللغة الكرديه ، واحيانا كانت تقدم ارتجالا من قبل الانصار الاكراد وغيرها ، الا ان احتفالية يوم المسرح العالمي تتميز بتقديم مسرحية مختلفة عن مسرحيات المناسبات ، مسرحية عادة من فصل واحد ، عالمية او عربية مميزة، او حتى معدة للسلطنة والتمتع الراقي على سبيل المثال (ضرر التبغ) لتشيكوف (عند الموقد) لناظم حكمت (القرار) لبرخت (روح الينورا) لتشارنفسكي .. وغيرها .

وكان الانصار العاديين يحرصون في هذا اليوم الذي يشيع بهجة ، على توجيه التهنة الى زملائهم الانصار المسرحيين ، كأنها مناسبتهم وعيدهم الشخصي ، وقد تعودوا على المشاركة في احتفالاتها كمثلين او جمهور ، او اعارة بطانياتهم وفرشهم وحاجياتهم الشخصية بطيبة خاطر لاستخدامها كأسسوارات وادوات للمسرحية ، واستطيع ان اقول ان المسرحيين الانصار ربوا في هذه القواعد الخلفية جمهورا مسرحيا واعيا ، كان يشترك بنشاط بعد تقديم العرض في مناقشة العمل بملاحظات واسئلة ذكية .

ان الحديث عن النشاط المسرحي للفنانين الذين اضطروا لحمل السلاح مع الحزب ، ضد الديكتاتوريه ، في الفترة (1978 - 1988) وماثرهم كفنانين ، ومقاتلين يطول ولا تكفي سرد الخواطر السريعة حولها ، كما هي هذه الوقفة ، لتعطي صورة كاملة للقاريء ، فلا بد من العوده الى الكتابات الكثيرة التي سبق وان نشرت عن دور المسرحيين الانصار ، ان كان في مجال الثقافة او القتال ، وقد سبق وان كتبها انصار مشاركين في هذه المآثر ،

الندوات الثقافية في قواعد الانصار (1978 - 1988)

خلال الاعوام (1978 - 1988) لم تكن هناك اي قاعدة من قواعد الانصار الشيوعيين الخلفية ، المنتشرة على طول اراضي الشريط الحدودي في الكردستان ، ليس فيها برنامجا حافلا بالفعاليات المختلفة ، يمكن ان نسميها فعاليات غير قتالية ، واعني به البرنامج الفكري والثقافي للفصيل او القوة الانصارية داخل مرابضها الثابته .

كانت قيادة القوة في المقر ، وحتى في بعض المفارز المتحركة على السواء ، تولى أهمية كبيرة للجانب الثقافي والروحي وتنميتها عند الأنصار في القاعدة ، لاتقل أهمية عن تأمين السلاح والغذاء والملابس والادوية واحتياجات الأنصار الحيوية الأخرى ومحاولة تحسينها على الدوام حسب الامكانيات المتاحة ، ولم تكن قوة من هذه القوى ، حتى الصغيرة منها ، لم تشكل لها لجنة ثقافية ، تسمى احيانا لجنة فكرية ، تخطط وتنفذ (فعاليات مسرحية ورياضية ومعارض رسم ومجلات دفترية او جرائد الحائط ، واقامة النشاطات الاحتفالية الفنية للسمر من غناء ودبكة وجوبي على سبيل المثال ، وندوات ثقافية وفكرية في مختلف المواضيع) .

و كانت تضع هذه اللجان اجندة مسبقة للمناسبات والاعياد الوطنية والاممية ، حتى تستعد لتقديم الفعالية الملائمة لكل مناسبة ، وهنا اتناول من هذه الانشطة فقط الندوات الثقافية التي كانت تعقد بشكل يكاد يكون دوري و منتظم في مقر الاعلام المركزي ، التي تميزت ندواتها بال نوعية الجيدة ، فمقر الاعلام المركزي كان يختلف عن باقي مقرات الانصار الأخرى بوجود مكثف فيه للأنصار المثقفين ، صحفيين وفنانيين وشعراء وكتاب ومذيعين وتشكيليين يعملون في مجالات شتى ، المطبعة والاذاعة ، اضافة لوجود الاعلام دائما بالقرب من مقر المكتب السياسي ، اي بالقرب من القيادة السياسية للحزب والانسار ، يعني توفر المحاضر السياسي الذي هو على تماس مباشر بالحدث السياسي الجاري ومجرى التطورات السياسية العامة ،

وهنا سيكون حديثي محصورا في ندوات هذا الفصل الذي كنت فيه طوا ل تواجدي في كردستان ، كنموذج ، اذ كانت تقام ندوات تشبهها ، وتقرب من اجوائها في جميع المقرات تقريبا ، فالنصير الشيوعي في اوقات فراغه كان حريصا في هذه المقرات على خلق واستحضار ومواصلة أجواء عالمه الروحي التي تركها ورائه في المدينة قدر الامكان ، عالم المسرح والنادي الثقافية وهواياته الحميمة ، استعرض اجواء ندوات الاعلام ، كصور متناثرة مازالت عالقة في ذهني ، بعد مرور هذه السنين الطويلة عليها .

كانت المناسبات التي يحتفل بها الانصار في الفصل كثيرة جدا ، معظمها يصادف في شهر آذار ، اي في الربيع ، ويعني مكان عقد هذه المناسبات هو في الهواء الطلق ، أعلى أو سع سطح من سطوح بنايات المقر ، اما المناسبات الشتوية كذكرى ثورة اكتوبر الاشتراكية ، واستذكار انقلاب شباط ، ويوم الشهيد الشيوعي وغيرها ، فتعقد في داخل اكبر قاعة نوم الانصار ، لتستوعب الجمهور المتكون من اعضاء الفصل ، مضافا اليهم في احيان كثيرة حضور ضيوف من الفصائل الانصارية القريبة والمجاورة لفصيل الاعلام .

وكان اداري الفصل ، يعد وجبة شاي اضافية لكل الفصل وضيوفهم ، على شرف الندوة التي عادة ما تكون في وقت ما بعد العشاء ..

اهم المناسبات الاحتفالية في آذار ، (عيد تأسيس الحزب ، وعيد نوروز ، وعيد المرأة) ، وكان الانصار في الفصل يهتمون بأيام هذه المناسبات على انها ايام فرح غير عادية تمر عليهم ،

ويحرصون على الاحتفال بها في كل الظروف ، اضافة الى اقامتهم الندوات الاخرى الخاصة بالمناسبة نفسها اذا كان الاحتفال فقط فني ، مع ذلك كان يخصص جزء من وقت الحفل الفني ، ان كان مسرحية او غناء او قراءات شعرية او رقص الدبكة والجوبي ، لتلاوة بيان سياسي صدر مؤخرا او كلمة بالمناسبة أعدتها قيادة الفصيل او القوة ، واصبح من تقليد هذه الاح تقاللات ان يحوي الجانب الخطابى منه على كلمة الحزب السياسية ، وفي مناسبة 31 آذار على وجه الخصوص تتلى بعدها برقيات و كلمات الضيوف من البيشمه ركة والاحزاب الكردستانية الصديقة .

وبطبيعة الحال كان شهر آذار لايمتاز بحركته الثقافية فحسب ، بل مرتبط بتحسن المزاج العام للأنصار ، فكل شيء مختلف وخاص في هذا الشهر ، اللحم المقنن عليهم طوال العام يرفع عنه التقنين في هذه المناسبات ، وتخف على مريض صرامة الاداريين الذين توالوا على الفصيل (علاء وابوجعفر والمرحوم ابوتانيا وغيرهم) في رفع التقدير بالمواد الغذائية اليومية المصروفة للنصير الخفر ،

فاكثرية الندوات التي اقيمت كانت مواضيعها تتوزع بشكل عام :-

- . ندوات سياسية
- . ندوات عسكرية
- . ندوات استذكارية
- . ندوات ثقافية

الندوات السياسية

اكثر الندوات المقامة كانت ندوات سياسية مباشرة ، ي قدمها في الفصيل اعضاء في المكتب السياسي وقياديين ، بما فيهم عزيز محمد السكرتير الاول آنذاك ، ومناسبات الندوات السياسية كثيرة اهمها الندوات التي تعقد بعد انتهاء مؤتمرات الحزب التي عقدت في كردستان ، لشرح التوجهات الجديدة في سياسة الحزب ، وندوات اخرى لشرح تفاصيل العلاقة مع الاحزاب الحليفة في (جوقد) و(جود) ، طابع هذه الندوات توجيهي وتلقيني ، رغم انه يتخللها نوع من نقاش الانصار لها وتوجيه الاسئلة ، وتقبل الاجوبة كمسلمات ، ضمن نهج ادارة الحوار الداخلي في تلك المرحلة ، وتوفر هامش الديمقراطية المتاح ، والتي لايصح تقييمها بعقلية الحزب اليوم ، الذي تخطى هذه المرحلة وتركها خلفه .

الندوات العسكرية

أقل الندوات عدداً في الفصيل ، إلا أن أشهرها كانت الندوة المكرسة لشرح الوضع العسكري عشية هجوم أولك على مقرات الحزب في بشت آشان 5 أيار 1984 ، قدمها المرحوم أبو عامل لعموم الانصار المتواجدين في بشت آشان ، هذه الندوة العالقة في الذهن التي ذكر فيها احتمالات الوضع العسكري القادم ، مع التطمينات بأنه وضع تحت السيطرة ،

الندوات الاستذكارية

تعقد هذه الندوات عندما تمر ذكرى مناسبة هامة ، مثل تأسيس المنظمة الديمقراطية ، كأتحاد الشبيبة الديمقراطية أو الطلبة أو رابطة المرأة ، أو وثبة كانون 1948 ، أو الهروب من سجن الحلة ، أو يجري الحديث عن المهرجانات العالمية للطلبة والشباب ، وغيرها الكثير ، ومن هذه المحاضرات التي مازالت في الذهن ، ندوة أبو فاروق وذكرياته عن وثبة كانون ، وندوة ثابت حبيب العاني عن أيام ثورة 14 تموز 1958 ، وندوة مهدي عبد الكريم (كان مسؤول الاعلام) في ذكرى تأسيس اتحاد الطلبة والمؤتمر العالمي والمهرجان الطلابي الذي عقد في بغداد في حدائق برك السعدون 1959 ، وندوة متميزة قدمتها بيوم المرأة العالمي النصيرة أم ليث (ذكرى عبد الرزاق) وندوة أخرى كانت مسلية ، تحدث فيها الدكتور كاظم حبيب بعد عودته من جولة في الخارج ، وكان أن ذاك (مشرفاً على عمل الاعلام) وغيرهم الكثير .

الندوات الثقافية

عادة ما تكون الندوات الثقافية في الفصيل غنية وذات نوعية ، وتلقى قبولا ومتابعة جيدة عند الانصار ، وتثير الحوار ، وتدفعهم الى المشاركة الجماعية في النقاش ، وأحدثت ما يشبه حركة ثقافية ، ومن فصيل الاعلام المركزي ولدت فكرة تأسيس فرع رابطة الكتاب والصحفيين العراقيين (فرع الانصار) وأصدرت مجلة لها مطبوعة بأسم (صوت الانصار) ، تعني بنتائج وابداعات الانصار المتميزة ، من رسم وقصة وخاطرة وشعر .

مواضيع الندوات الثقافية متنشعبة وكثيرة ، من علم الجمال الى السينما والمسرح والشعر ، اتذكر منها كنموذج :-

يحبى علوان عن السياسة الثقافية في الحزب الشيوعي
قدمت انا اكثر من ندوة في المسرح ، اتذكر منها ، المسرح والحزب الشيوعي العراقي ، لغة المسرح ،
مسرح الطفل ، وغيرها
مفيد الجزائري واقعية الكم في التشكيل عند الفنان محمود صبرى .

ان وقت الفراغ عند النصير لم يكن سائبا في كل الظروف ، كان يملأه دائما با لنشاط المتمر ، حتى في الأسر ، اتذكر ايام وقوعنا في الاسر بيد بيشمه ركة الاتحاد الوطني الكردستاني بعد احداث بشت أشان 1984 ، ، وكنا مجموعة كبيرة من الرفاق بمستويات حزبية مختلفة ، بقي اكثريننا مدة طويلة تجاوزت الستة اشهر ، وكنا نعد في الاماسي ندوات ثقافية يحضرها حتى السجناء ، اتذكر منها ندوة عن كومونة باريس قدمها ابو عادل ، وندوة أخرى قدمت فيها استعراضا لرواية لكاتبة انكليزية لاتذكر اسمها ، كان الكتاب موجودا بالصدفة في جامع القرية الذي سجننا فيه ، وقبل الندوة كان الكتاب قد تم قرأته من قبل جميع الانصار الاسرى .

الابداع الادبي وتجربة الكتابة عند الأنصار في الاعوام (1979 - 1988)

انتج الانصار في فترة الكفاح المسلح ، وفي اوج مواجهة الشيوعيون للنظام الفاشي الشرس ، ادبا بكل انواعه المعروفة ، لاسيما الشعر والمذكرات والخاطرة ، ومع الاسف لم تحفظ الظروف المحيطة بالحركة اكثرية هذه النتاجات ، عدا النتاجات القليلة التي ارسلها اصحابها الى صحافة الحزب التي كانت تصدر في الخارج ، وهي نتاجات ناضجة بشكل عام في مجال القصة والشعر على وجه الخصوص ، والتي كانت هذه الصحافة تحرص جدا على نشر مايردها من الانصار ، وبغض البصر عن نواقصها الصغيرة ان وجدت تحفيزا وتشجيعا منها للنصير على المواصلة.

وقد اولى الحزب اهمية كبيرة لتطوير هذه التجربة بفسح المجال لهذه النتاجات في ان تظهر في نشرياته الاعلامية التي كانت تصدر في مقرات الانصار والاعلام المركزي ، وطبع بامكانيات الاعلام البسيطة في الجبل المجاميع القصصية والشعرية الاولى لبعض الانصار المتميزين والواعدين ، وكانت المجالات الدفترية الخطية التي يصدرها الانصار في كل القواطع والفصائل أشبه بأن تكون صحف ثقافية وادبية بمعنى الكلمة ، (دون ان يقلل من اهميتها ، مستواها العادي من ناحية التقنية والحرفية لقلة خبرة هذا النصير في هذا المجال) ، يحررها النصير العادي بنفسه وبلغته البسيطة ، والتي لم تكن للكثير منهم خبرة سابقة في هذا المجال ، مسجلا فيها أحاسيسه وانفعالاته وطموحاته ، حتى ان هذه المجالات كادت ان تكون المرآة التي نعكس مزاج ومعنوياته والطريقة التي كان

يفكر ويحلم بها أُنذاك .

أعند معظم الانصار المقاتلين ان يحملوا في حقائب الظهر مع معداتهم الصغيرة الضرورية الاخرى دفنرا صغيرا وقلم ، ينتقل معهم اينما حلوا ، يسجلون فيه يومياتهم ومشاهداتهم ، طبعا هذه اليوميات معظمها متواضعة من الناحية الادبية وضعيفة في قواعد النحو وفيها حتى اخطاء املائية ، الا انها كانت ذات قيمة تسجيلية فريدة ، وتحمل افكارا صادقة ومتوهجة ، وظهرت بكثرة خواطر النصير في المجلات الدفترية ونشرات الحائط ، تعكس اكثرها حنيننا شديدا للماضي وللحظات المدينة التي ابتعد عنها ، واستنكار معايشة شهيد فقده الى الابد وكان يرتبط به بصداقة حميمة خاصة ، او ذكرياته عن الحبيبة التي انقطع عنها ، وكان من الانصار من شدة تعلقهم بمن تركوا ، بكونون أنفسهم باسم حركي يحمل اسم حبيبته ، بأبي (فلانه) مثلا .

وقد استفاد النصير زهير الجزائري من بعض هذه اليوميات ، وكتب خلال وجوده في قواعد الانصار مسرحية تقليدية (الجلال في ليلة مقمرة) على اساس ماورد في دفتر اليوميات لاحد الانصار ، وقد اخرجت المسرحية في قاعدة (بشتاشان) عام 1982 ، اخرجت ولعبت الدور الرئيسي فيه النصيرة (نضال عبدالكريم) ،

ومن الانصار من طور يومياته فيما بعد الى قصص قصيرة ، نشرت اما في مجاميع قصصية صدرت له في الخارج ، اونشرها في المجلات الثقافية المختلفة ، (كالثقافة الجديده) ، (والبديل) مجلة رابطة الكتاب والفنانين العراقيين . و (الهدف والحرية) الفلسطينيتين ومنابر اخرى ، وكان من اغزر من كتب المسرحية في قواعد الانصار ابو النور (صباح مند لاوي) وابو عجو (عدنان اللبان) وابو اروى (هادي الخزاعي) ، والثلاثة كانوا يتوزعون في قواعد مختلفة ومتباعدة يصعب التنسيق فيما بينهم او يطلعوا على نتاجات بعضهم لبعض ، فالحاجة لتقديم العرض المسرحي السريع في المناسبات الاحتفالية الكثيرة ، في جو غياب توفر النصوص المسرحية اوجبت هذه الكتابة ، وقد كتب انصار اخرون ايضا مسرحية ، واعد الجميع المسرحية م ن نصوص عربية وعالمية بهدف سد الفراغ .

كتب الانصار الشعر بشقيه (التقليدي والشعبي) وقرأوه في الاحتفالات او نشره ، ابرزهم واغزرهم انتاجا في الشعر الشعبي النصير ابو بدر ، وكان هناك شبابا توسم فيهم بدايات شعراء هامين ، سقطوا شهداء مبكرا دون ان ينشر لهم شيئا .

كان عدد الانصار من مبدعي الكتابة من المحترفين محدودا ، وهؤلاء طبعا بعد خروجهم نتاجاتهم الابداعية التي كتبوها في كردستان تحت تأثير معايشة التجربة على شكل دواوين ومجاميع قصصية وروايات اقرب الى المذكرات الشخصية ، منهم الشاعر عواد ناصر وال صحفي والروائي زهير الجزائري ، ومنهم من ظهر لأول مرة وتطور كأديب في الجبل ، كأبو الفوز وسلام عبود عامر حسين وآخرين كمثال .

صحيح ان تجربة الحركة الانصارية الشيوعية لم تنتج ادبا عظيما م عروفا بشكل واسع ، او ادباء

هامين جدا في الثقافة العراقية ، كما هو الحال في المقاومة الفرنسية و الأنصارالروس ضد الأحتلال النازي ابان الحرب العالمية الثانية ، بسبب محدودية الامكانيات ومحلية الحركة الانصارية الشيوعية في العراق وعزلتها في منطقة كردستان ، وسهولة محاصرتها من قبل الاعلام الرسمي آنذاك بشكل خائق عن الجماهير والعالم ، لما تمتلك الدولة من امكانيات هائلة مادية واعلامية مضادة مكرسة لهذا الخنق والاقصاء ،

اضافة الى ان الادب المعبر عن الحدث لا يأتي آنيا ، عادة ما يأتي هذا الادب بعد الحدث بفترة مناسبة ، يستعيد المبدع الحدث بعد ان يتمثله بفترة قد تطول او تقصر ، ومعظم الكتابات الانصارية الناضجة المنشورة كتبت في الواقع بعد ان انتهت الحركة ، الا انه كان لهذا النشاط الأبداعي تأثيره العميق على كتابات بعض المبدعين الذين لم يشاركوا في حركة الانصار على الاطلاق ، ولكنهم كتبوا قصصا واشعارا تدور في اجواء وحول هذه الحركة .

تعرضت النتاجات الابداعية للأنصار الشيوعيين الى كارثتين معروفتين في تاريخ الحركة ، حلت الكارثة الاولى في عام 1983 عندما اجتاح بيشمه ركة الاتحاد الوطني مقرات الحزب الشيوعي في بشت آشان ، واستولوا على الوثائق الشخصية للأنصار من جوازات سفر و لبومات صور وحاجاتهم الحميمة ، من بينها دفاتر اليوميات و مسودات لنتاجات قصصية وخواطر ودواوين شعرية وكتابات ابداعية اخرى ، وكل ماكان موجودا في الاعلام المركزي الذي لم يجري اتلافه قبل الانسحاب ، اذ ان فصيل الاعلام كان يعتبر اهم مقر لتجمع معظم المثقفين المبدعين من الانصار فيه ، ومن نواقصه انه كان اكثر المقرات الخلفية ثقلا بالمعدات والاجهزة والأقل في الاستجابة السهلة للتحرك والانتقال السريع .

الكارثة الثانية التي حلت بالنتاجات الابداعية الادبية للأنصار الشيوعيين ، هو ماحدث اثناء حملة الانفال 1988 ، عندما اضطر الاعلام المركزي الى دفن اجهزة الاعلام وارشيفه التي منها (المجلات الدفترية للأنصار الشيوعيين التي كانت تصدر في معظم القواطع ويرسل منها نسخة لأرشيف الاعلام المركزي للحفظ) كانت هذه المجلات التي فقدت فيما بعد ، تجمع بين دفتيها كل خيرة نتاجات الانصار العاديين من شعر وقصة قصيرة و خاطرة وذكريات ، وبعضها كانت من نتاجات شهداء الانصار فيما بعد .

كأن حركة الانصار عندما توقفت بتغير الظروف والتوجهات ، أبت الظروف القاهرة ايضا الا ان تسدل الستار على ذاكرة الانصار المتمثلة (بمعظم نتاجاتها الابداعية الادبية الآنية التي عبر عنها في وقت الحدث) بطريقة تراجيدية ، كما هو كل تاريخ العراق.

أستخدام شماعه الحزب ، والبراءة

توقفت الحركة في الانفال ، وانتهت الحرب العراقية - الايرانية بلا غالب او مغلوب ، أجبر الانصار بعد هذه الحرب مباشرة ، على ترك المواقع القتالية في معارك غير متكافئة ، او بالأحرى في اجتياح واسع للجيش استخدم فيه الطيران والقصف المدفعي والغازات السامة ، منهم من رجع الى بيته من سكان مناطق كردستان ، والاغلبية الاخرى عادت من حيث أتت الى دول الجوار ، اكثرهم توجه الى سوريا ، وبعضهم سلك طريق إيران نحو الاتحاد السوفيتي سابقا ، او الى افغانستان ومن ثم الى دول المنظومة الاشتراكية كمحطات باتجاه عالم ومستقبل مجهول ،

وكما كان الحال في الزج غير المنظم لهم في الحركة ، كان خروجهم الاضطراري من كردستان بعد توقف الحركة ، قد شكل ازمة ايضا وضغطا على الحزب ، سيما في جانب مواصلة صرف المخصصات الشهرية القليلة لهم الى ما لانهاية ، ولم تعد امكانية تشغيلهم في بعض الدول العربية متوفرة كما كان في السابق ، فقد زالت الجمهورية اليمنية الديمقراطية ، الداعم الشجاع للحركة ، ولم تعد لحركة المقاومة الفلسطينية في بيروت كما في سابق عهدها دورا مهما في الساحة اللبنانية الرسمية لتشكل سندا لظورها ، والمنظومة الاشتراكية سبق وان بدأ انهيارها بعد اطلاق كورباشوف لبريستويكته الشهيرة التي هزت العالم ، وهزت معها ايضا بهذا الشكل وذاك قطاعات بقايا الانصار وكثير من الشيوعيين بالأمل و المستقبل ، والمقاعد الدراسية والمنح العلمية المتوفرة عند الحزب للشباب لم تكن تكفي لامتناس حتى القلة منهم ، فتوجهوا افواجا افواجا الى دول اللجوء الغربية التي فتحت لهم ذراعيها في البداية ، ولقيت هذه الخطوة تشجيعا وترحيبا من الحزب ، واخذ ينظم عمليات اللجوء هذه بنفسه لمن يرغب ، ويتحمل بعض تكاليف سفرهم ، وفي احيان كثيرة كل التكاليف باعتبارها ديون (تسدد فيما بعد عند تحسن الاحوال ، علما ان اكثريتها لم يسدد) ، بهدف تخفيف الاعباء المالية عن الحزب و التي اصبحت مصادرها شحيحة ، وكانت عملية تشجيع الانصار على اللجوء قد تركت انطبعا قاسيا في نفوسهم على ان الحزب قد تخلى عنهم .

لم ينجح الحزب في معالجة آثار الانفال المربكة و المدمرة ، و وطأة انهيار المثل والقيم القديمة المرافقة لانهيار المنظومة الاشتراكية على نفسية النصير المنسحب كسيرا توا من المعركة ، ولم تكن لدى الحزب اجابات مقنعة على تساؤلاتهم كلها ، لانه نفسه كان تحت تأثير الصدمة العامة التي تعرضت لها الحركة الشيوعية آنذاك ، وكان من الطبيعي ان النصير في هكذا اجواء مربكة

أن يبدأ يفتش عن المسؤال عن كل ماحدث ليتصالح مع نفسه ، وان عجز في الوصول الى الجواب ، يفتش عن الشماعة التي يعلق عليها كل اخطاء الماضي والحاضر والمحتملة في المستقبل ، فلم يجد امامه غير الحزب ، دون ان يدرك ان المسؤول الشماعة المفترض هو ضحية ايضا ، بل اشد ضحايا الزمن الذي مضى الان ، والذي حاول ان يتوقف بشجاعة وشفافية عند اخطائه في عدد من الوثائق التقييمية ، التي من اهمها كانت تجربته في الجبهة الوطنية ، ووثيقة احداث بشتاشان ، و تجربة حركة الانصار .، كلها اخطاء ، بعضها اخطاء كادت ان تؤدي بحياة الحزب ان استمرت ، لكن الحزب تحدث عنها بشجاعة علنا لتجاوزها والنهوض بالحزب مجددا ، وهذا مالم تتجرأ و تفعله في وقت سابق كل الاحزاب الشيوعية وغير الشيوعية في المنطقة .

انفض معظم الانصار عن الحزب بعد انتقالهم الى دول اللجوء واستقلوا عن الحزب ماديا ، وابتعدوا عن التنظيم بمسافات مختلفة ، مستخدمين شماعة أخطاء الحزب التي تتحمل كل شيء (من الحجج الحقيقية والغير حقيقية لتبرير هذا الابتعاد) ، دون ان يتوقفوا بشجاعة عند سبب واحد قد يكون صحيحا ومبررا تماما ، وهو تأثير وضع العامل الذاتي ، أي فترة الكهولة التي يمرون بها بعد هذه السنين الصعبة من البذل المخلص والتضحية بأغلى ما يملكون ، وما يرافق هذه الفترة من تعب صحي ونفاذ القدرة و ضعف الطاقة على المواصلة ، كما كانوا شبابا ايام الانصار ،

ليس مايعيب الانسان ان يتغير بمرور الزمن ، بل هو قانون الحياة يحتم ان يتحول البشر من حال الى حال (نحو الافضل او الاسوأ ، هذا موضوع نسبي) ، فأمكانية العطاء والمساهمة ونمط التفكير غير ثابتة عند الانسان ، وهي عرضة لتأثير المصالح الشخصية المتغيرة في الظروف الجديدة ، (منها مسؤولية العوائل والابناء الذين ولدوا و تربوا في الغربة ، والأرتباط بمصالح العلاقات المتكونه في المجتمع الجديد ، إضافة الى هم الكدح والعمل اليومي لسد رمق الاسرة ومتعلقات تأمين مستقبلها ، يتقل عليها امراض الكهولة الزاحفة بقوة ، التي تضعف من اندفاعه الشباب الاولى) .

وكما هو معروف أن جميع الانصار اليوم ، أصغرهم قد تجاوز سن الخمسين .، والتغيير الذي اصاب البعض في رأبي ، مشروع وطبيعي لانه يتعلق بوسع الانسان وحدود مديات

المواصلة ، وما مطلوب ليس واحدا من الجميع ، لكن من غير المقتنع عدم الاعتراف بتواضع انصاري بهذه الحقيقية (الطبيعية اصلا) ، ولا اقول تواضع شيوعي التي اصبحت تحدث كلمة شيوعي حساسية وحكة في الجلد ، واللجوء بدلا عن ذلك الى شماعة اخطاء الحزب الجاهزة ، لتعليق الحجج المنسوجة والمتوهمة التبريرية عليها ،

مايحرزني في غرفة ينابيع العراق البالتاكية ان الانصار القدامى نوي التاريخ الذي لاينكره احد عليهم كمقاتلين أبطال ضحوا بأثمن فرصة منحهم الحياة لهم ، هي فرصة فترة الشباب التي لن تعوض والتي انقضت في عزلة الجبل الموحشة ، والمقارعة الشرسة للفاشية بالسلاح ، وهي تضحية شخصية مشرفة أصبحت جزءا من تأريخه الشخصي وتاريخنا الناصع المشترك مع الحزب ، الذي يجب علينا جميعا ان نفخر به ونصونه بكثير من الأعتزاز ، والحرص من التشويه والاسائة اليه بدون ان ندري ، سيما في هذه الفترة الحرجة التي تتكالب الرجعية بكل تلاوينها والمحتل لاقصاء دور الحركة اليسارية عن مستقبل عراقنا ،

ان هؤلاء الأ نصار الاعزاء ومعظمهم من اصدقائي ، نجدهم في كل مرة يدخلون فيها الغرفة يبدأون حديثهم بكليشة مكررة اشبه باعلان البراءة السيئة الصيت من الشيوعية ، والتكر لتاريخهم الشخصي الذي يشرفهم ويشرف الجميع دون ان يكونوا مضطرين الى ذلك ، أو طلب أحد منهم ذلك ، ويؤكدون في مقدمات حديثهم على انهم غير ملتزمين او ليسوا بشيوعيين ، أو أنهم شيوعيين ولكن ليسوا بحزبيين ، و احيانا بانهم ماركسيين فقط ، وما الى ذلك ،

الكل في الغرفة يعرف بعضنا البعض ، وماعادت اسرار ، هذا صامت ومستمع فقط ، وذاك يتحدث ومستعد ان يتداخل في كل موضوع ، و هذا مازال في التنظيم والآخر خارجه لسبب ليس من الضروري ان نعرفه ، لأن قضية البقاء في الحزب او تركه كما هو معروف ، قضية اختيار شخصي حر له علاقة بالقناعات التي هي ليست ثابتة بالضرورة ، والنظام الداخلي للحزب كفل هذا الحق بوضوح ، بأعتبارها علاقة (اختيارية) مما لايستدعي من النصير العزيز ، التعب و صرف وقت في كل مرة يدخل فيها الغرفة ليعلن ويؤكد البراءة مجددا تحت يافطة الشفافية والديمقراطية التي تسمح لنا ان نقول ما نريد ، وكل شيء ، وعندما تكون هذه المقدمه مكررة افهم منها انها مغرضة وتهدف للأسائة لا للحزب فقط ، بل للمتحدث نفسه الذي لايربطني به الا

تاريخه المشرف كشيوعي نصير ومضحى ، ورفيق درب النضال.

او ان يكون له قصد برىء آخر لا يوضحه ، سيما انه لا يسبب هذه البراءة أو يسبب تركه التنظيم ، واذما ما اراد التبوير فيلجأ كالعادة الى الاسهل (شماعة الحزب الجاهزة التي تتحمل كل شيء) وموضوعه أخطاء وتصرف القيادة ، وما الى ذلك من أقاويل تردد بهذا الصدد في كل زمان ومكان منذ تأسيس الحزب ، وحتى هذا التاريخ ، لترسيخ فكرة وانطباع عام في الغرفة بأن سبب تركه للتنظيم الذي كان يحبه حتى الموت كما يعلن ، يعود الى مؤسسة الحزب الحالية بذاتها الغير جديرة بالمسؤولية ، والتي تتحمل لوحدها مسؤولية ابتعاده ، ولا يذكر لنا طبعاً ظرفاً او سبباً شخصياً آخر يعرفه غير معلى احتفظ به لنفسه ، على الأرجح انه هو السبب الخفي الحقيقي .

مع كل هذه المواقف التي اجدها متشنجة تجاه الحزب ، والملاحظات التي ذكرتها حولها ، يبقى هذا الطيف الواسع الجميل من الانصار القدامى الذين تركوا التنظيم لاسباب عديدة (محقين بها او غير محقين) ، هم الاقرب الى الحزب ، يحلمون ويتحدثون بذاكرته وتراثه ، وما زالوا ملتسقين به بلا فكاك ، حريصون (رغم ان ارجلهم تقف خارج الحزب) على الالتفاف بقوة حوله ، وفي اعماقهم مازالت جذوة الحب القديم للحزب مشتعلة ، ومن غير العدل فهم البعض لمواقفهم في غرفة البالتوك بالمواقف الانتهازية أو الانهزامية وغيرها من التهم المتسرعة الجاهزة ، رغم انهم احياناً و بدون ان يدركوا ذلك ، يصطفون في كثير من الاحيان مع طروحات ونوايا اعداء الحزب الغير بريئة الرامية لايذاء الحزب ، والتي لم تتقطع في يوم من الايام .

طوبى لنا ، اننا نعيش مع الملائكة

البداية كانت صعبة على النصير الملتحق حديثاً بالقواعد ، وفترة التأقلم على الظرف الجديد ليست واحده قد تطول عند هذا النصير او تقصر عند ذاك ، لكن بشكل عام كان عليه ان يهمل وينسى كل ما علمته المدنية ، ولا بأس ان اراد ان يتأقلم في فترة قصيره ان يستفهم ويسأل ويستفسر

ويكتشف بنفسه وان لا يهتم بما تثيره اسئلته من ضحك القدامى عليه ، بدءا من التعود على طريقة استخدام الملابس الجديدة كطريقة (شد الجمداني) (والدوخين) (والبشتين) الى قضاء حاجته الطبيعية في تواليتات عجيبة منصوبة عند جرف او على (الروبار) الجاري ، سمع عن كل هذا قبل ان يصل ، ويدخل عمليا (حياة البيشمه ركائتي) الرومانسية التي كانت فيها الصورة ، وهي الان غير الصورة الواقعية التي يعيشها عمليا .

لاشيء خصوصي وانت تتمدد للنوم الى جانب رفيقك في القاعة المشتركة التي يسكن فيها من عشرة الى عشرين نصير ، لابأس ولا مجال للاعتراض ان كان جارك يشخر في النوم بفضاعة او العكس انت تشخر وهو الهاديء في التنفس ، او (يجمع بصوت عالي) شريكك في الصحن الواحد عند الاكل ، عليك ، بل لامجال ان تتحمل وتعبر ، وانت سعيد جدا اذا كانت حصتك من مساحة القاعة فقط ، مكان يسمح لتمدي بطانيتك بعد طيها الى النصف (70 سم × 200 سم) وتضيق هذه المسافة الى النصف تقريبا في حالة قدوم مفرزة متعبة تقضي وقتا قصيرا للاستراحة ،

وتوقف هكذا نوع من المفارز في المقر يعني ان (القمل) قادم اليها لامحال ، رغم الاجرائات التي تتخذ من قبل اداريي الفصيل ، كتبديل الملابس لغليها ، واجبارهم على الاستحمام في الحمامات البدائية القريبة من التواليتات عند (الروبار) قبل ان يدخلوا القاعات ، كل هذه الاجرائات لم تكن تحول دون انتقال هذه الحشرة المشاكسة الى ملابس انصار المقرات الثابتة لیتساوی الجميع .

ومن هذا الجديد الذي يكتشفه النصير عند وصوله الى القواعد المهمة ، ويخفف من الصعوبات الانتصارية اليومية التي ذكرت جزء بسيط منها ، ان الجميع متساوون في اجتراع معاناتها ، من الكبير الى الصغير ، فقد عرف سريعا ان المقر الذي يعيش فيه يشاركه ايضا في قاعة خاصة اخرى الفيادي

الأسطوري (ابوفلان) بلحمه ودمه ، قرأ عنه انه نجح في انقاذ وقيادة الحزب بنجاح في فترات حرجة من التاريخ ، سمع عنه الكثير ، لم يكن يفكر انه سيلتقيه في يوم من الايام ، انه من طينة غير بشرية ، طوبى لي اني أعيش اخيرا مع الملائكة ، والملائكة نزلت عندي لتقاسمني المعانات نفسها .

وتمر ايام قليلة لاتتجاوز الاسبوع كانت كفيلة بان تزيل الدهشة الاولى عنه ، ويكتشف ان (ابو فلان) ليس بالملاك الذي صور له ، انه لا يختلف عنه في أي شيء بدءا من تناول وجبات الاكل الجماعية ، وحتى استخدام التواليتات الروبارية ، لافرق ، عدا انه معفي من الخفارات والحراسة وبعض واجبات النصير الاخرى لكبر سنه ، انه الان مثله نصير يلتقيه كبشر على الارض ، يمارس هواياته المحببة بلا حرج ، يتقبل بعض عاداته ويستهنج البعض الاخر ،

وبمرور الايام تزول الرسميات ، وتحل محلها الصداقة ، ثم الميانه ، وتقوى الميانه الى تبادل النكات ، ويكتشف عنه الكثير ، وتسقط من الصورة الى الابد اجنحة الملائكة ،

وبعض الانتصار كان يتمنى لو حافظ في مخيلته على صورة الحلم القديمة عنه ، ولم تتسنى له فرصة التعرف عليه مباشرة والاختلاط به . ، ألا انه كما قلت يكتشف النصير ويتعلم في كل يوم شيئا مدهشا ومثيرا .

طنين الزنابير الذي اعتاد ان يطير خلف و حول الملكة

في مقرات الانتصار وبحمايتهم ، عقدت اهم المؤتمرات الحزبية ، بدءا من مؤتمره الرابع ، هذه المؤتمرات التي كانت تلاحق بلهاث الاحداث المتسارعة

، وتراجع وتصحح سياسيتها القديمة ، في جو استمرار وتعقد مسار الحرب العراقية - الإيرانية ، وبدأت الحرب كأن لا أفق لنهايتها ، وكلما طالت ، تخبط الحزب أكثر ، واحترافي طرح شعاراته المترددة بين انتهاء الفاشية ، أم إسقاط النظام ، وظهرت تيارات داخل اللجنة المركزية تدعو الى التراضي مع النظام ، مادامت الحرب أصبحت غير عادلة ، الى غير ذلك من الخلافات التي كانت على أشدها آنذاك .

لاحظ الانتصار في المقرات الخلفية وهم يراقبون ما يجري امامهم عن قرب ، بفضولهم المعروف ، ان القيادي فلان لا يتحدث ويتجنب القيادي الاخر فلان ، وانه سمع القيادي فلان عند الغداء ينتقد علنا فلان من القياديين ، وتحول الهمس تدريجيا الى ثرثرة ، امتدت عبر المفاوز الى المقرات الاخرى . وتحول القياديين الى موضوع رصد دائم من الجميع ومتابعة للزلات والأخطاء في السلوك اليومي ، في الصغيرة والكبيرة التي تصدر منهم ، لتكون موضوعا للسمر ، وبتكرار نقلها شفاهيا ، كبرت القصة وتضاعفت فيها المبالغة باللت والعجن .

برزت في هذا الجو ، او انها كانت موجودة سابقا ولم ينتبه اليها الانتصار لولا الفضول ، ان فلان مثلا لديه شلة من ولايته ، عندما يتحرك ، كملكة النحل يطير خلفه وحوله زنابير الولاية . وطنيين خلية النحل هذه ، يختلف عن طنيين الخلية الاخرى ... وهكذا .

ولم يكن هناك اي متنفس لهذا الوضع ، الى ان انبرى (ابو الصوف) (*) في يوم من الايام ليعبر عن هذا الضيق الجماعي بالقيادة التي كثرت حولها الثرثرات ، بتصفيط اغانيه الساخرة المعروفة بالقيادة ، التي انتشرت بين الانتصار كالنار بالهشيم ،

وكان ابو الصوف يردد اهازيجه هذه في كل وقت وجلسة سمر ، يحضر

أكثريتها القياديين وكان المرحوم مهدي عبدالكريم يرتاح جدا لهذه الاغاني ويستلطف ابو الصوف شخصيا ، لاسيما الاغنية التي كانت تناول شخصية المرحوم (مله علي)

ولم يكن كل القياديين على شاكلة مهدي عبد الكريم في الاريحية واخذ الامور بالبساطة وطيبة القلب وسعة الصدر ، منهم من لم يكن يعجبه البهذلة المستمرة التي يثيرها ابو الصوف ، فاتخذت بعض الاجراءات ذات ال روح الستالينية التي كنا معتادين عليها للحد من ظاهرة الثرثرة المستفحلة بين صفوف الانصار ، ووجد لسبب ما ابو الصوف من السلاح ربما كانت عقوبة له على طول اللسان على الاكثر ، لست متأكدا ..

عجا في بالتوك النبابع ، نختلف اليوم في معنى و جدوى بذل الشهادة

الاقدام على التضحية واسترخا ص الحياة والشهادة ، اشياء لاتلد مع البشر ، لأنها فعل نفي للحياة ، فعل يبقى غريبا تقاومه الطبيعة البشرية بالمطلق ، اي انها ليست فطرية كما هي حب التواصل والبقاء في الحياة عند الانسان والحيوان على حد سواء ، ومشاعر الخوف من الموت والفناء غريزة طبيعية واصيلة ،

فالشجاعة والاقدام على ولوج مواقف قد تؤدي به الى الموت ، هي صفات ضد الطبيعة وتسمو عليها اذا كان الثمن هو التخلي عن الحياة من اجل اعتقاد سامي ، الشجاعة هي جزء من اخلاق اجتماعية وقيم جمعية محلقة جدا ، تكتسب بالتربية والتمرين والتدريب والمعايشة مع الاخرين ، وتمتحن وتستعرض لترهيب المقابل في مواقف الاحتدام ، في الجوهر هي صفة ضد الضعف ، وهي روح الأفتحام الفردي عند الجماعة ،

الانصار المقاتلون ، لايدخلون المعارك من اجل أن يموتوا حبا بالموت

والشهادة ، بل يدخلون المعارك بثقة عالية بالنفس من انهم هم الذين سينزلون الموت بالآخر من اجل تحقيق هدف بقاءه المهدد ، انه لايشعر في ساحة المعركة الا بغريزة القتال دفاعا عن بقاءه ، (اقتل والا تقتل) ، منهم من يقول انه مبدأ شرير ووحشي ، لكن ماذا نفعل ؟ هذه هي قواعد الحرب التي وضعها وفرضها علينا الآخرين .

فالشجاعة التي يبديها الجندي التقليدي في الجيوش الرسمية في الحروب ، يكتسبها بالتدريب العسكري العنيف ، لتخدير العقل وسلب الارادة ، ومسح المشاعر الانسانية ، فيحول البشر الى آلة وماكنة قتل طيعة بيد من هو اعلى منه رتبة ، تفكيره ووعيه معطل ، يتلقى ولايبعد ، هناك احد ما من يفكر عنه ، يوحهه القائد الى التهلكة الاكيدة في المعركة دون ان يعترض . ، فالقائد يطبق خطة عسكرية في المعركة يعرف وحده مداها ، ويعرف مسبقا عدد الضحايا المحتملين من الجنود الذين يزجهم فيها .

يختلف النصير عن الجندي العادي ، انه شيوعي في الاساس ، واعي وعلى درجة لا بأس بها من الثقافة عموما ، ويعرف ماذا ولماذا يفعل ، ويناقش أحيانا ليقنتع ، يعرف لماذا يدخل المعارك ، وهو لا يختلف عن الجندي في التدريب على السلاح واللياقة و أملاك تكتيك خوض المعارك ، ولكن بوعي مختلف ، ويمتلك حيزا في الأبداع والارادة والتقرير عند التنفيذ .

لم يختلف الانصار على معنى البطولة ، البطل هو من اجترح اعمالا شجاعة وجريئة في المعارك الميدانية ، او قام باعمال فذة اثرت ايجابيا في مجرى احداث حاسمة ، وقمة البطولة هي الشهادة أي بالتنازل عن حياته من اجل هدف نبيل ، يدعم استمرار الحياة بشكل افضل ..

أذكر بطريقة استشهد الرفيق الفنان ابو ايار كنموذج ، لانه سجل ملحمة فذة في التضحية عن وعي بأعز وكل ما يملكه الانسان في هذه الدنيا ، عندما

وضع في موقف الاختيار ، اما ان يحافظ على نصاعة شيوخه من التلطيح بالانتحار قبل ان يسقط بيد العدو وهو جريح عاجز وضعيف ، او يستسلم لينقذ حياته ويترك مستقبله للأحتمالات المفتوحة ، من المؤكد اختياره للانتحار كان سريعا وحاسما ليصون شيوخه ومبادئه التي هي كل تربيته في حياته القصيرة التي عاشها ، اختار الانتحار من أجل الإبقاء على حياته المثال ، وشرف تاريخه كما يفهما . .

طبعا هذا موقف صحيح من جدوى الشهادة من وجهة نظر شيوعي وضع بموضع الاختيار ، يتناقض ويتعارض مع موقف بعض الاخوة الذين سمعت منهم في غرفة ضيافة العراق البالتوكية، ويؤكدونه في مناسبات اخرى ، من ان ما معناه ، أن الكينونة الذاتية المجردة (الوجود) هي الالهة والجديرة بأن نلتفت اليها ويحافظ عليها لاننا لانملك عداها ، نفقدها ندخل العدم ، وعليه يجب ان نبقي احياء و تحت اية ظروف ، حتى اذا كان الثمن هو الخيانة (في حالة الشيوعي الاعتراف على رفاقه والحاق الضرر بهم الذي قد يكون منه احتمال التسبب بالموت لهم) ولا ضرر من التخلي عن الافكار و المبادئ مهما كانت نبيلة فهي لاتعني شيئا في مقابل ان تبقي على وجودك المادي ،

هذا يجرنا الى موضوعة ناقشها سارتر من زاوية فلسفته ، قرأتها في مسرحية من مسرحياته المترجمة للعربية في ايام الشباب (الايدي القذرة) وهي وجهة نظر موجودة على كل حال تناقش فكرة الوجود والعدم ، و هي افكار بالجواهر تلتقي مع الافكار التي طرحها الرفيق العزيز ، لكنها ليست وجهة نظر شيوعية ، وتتناقض معها.

مالك سيف مات وانتهى الى مزبلة التاريخ من اليوم الذي اعترف به وسلم الحزب بكامله الى جهاز التحقيقات الجنائية ، وبقي بعدها محافظا على حياته البيولوجية الى اردل العمر ، بالمقابل الرفيق فهد مازال حيا بافكاره بيننا الى الان ، وهو الذي قدم من اجلها بوعي حياته، اذا الاختلاف هو ماذا تعني

الحياة. لكل شخص .؟

وفي الغرفة حول نفس موضوع الشهادة ، يستكثر البعض على بعض الشهداء منحهم شرف هذا اللقب ، وفي تقديري ، ان النصير بمجرد ان يقرر التوجه الى مواقع الانصار لحمل السلاح ، يصبح مشروعا للشهادة من اجل قضية نبيلة ، ان سقط قتيلًا في المعركة ، او فقد حياته في الثلوج ، او اغتيل ، او مات في المقرات الخلفية جراء المرض ، او لأي سبب آخر فقد حياته من اجلها في الوقت الذي كان يناضل فيه بساحة المعركة ، كل الشهداء متساوون ، لافضلية احد على احد ، ولايعنيني بل من المهزلة ان نقسمهم الى طبقات كما يحلوا للبعض ، استنادا الى التفسير او الاصل الديني لكلمة شهيد ، وكما يحدث الان في موقف النظام من الشهداء ، وتقسيم الضحايا الى ضحايا ما بعد 1968 يُعتبرهم شهداء يستحقون حقوقهم التي منها التكريم وصرف مستحقاتهم التقاعدية ، وضحايا ما قبل هذا العام لايشملون بالقانون والاعتراف بهم كضحايا لهم نفس الحقوق

اقوى هزة ارضية

أحداث 1 أيار 1983 في بشت آشان ، كانت بمثابة أقوى هزة زلزلت الارض تحت اقدام الانصار ، وحولت المياه التي كانت راكدة في القعر الى امواج متلاطمة عكرت الصفاء القديم وتبخرت الثقة العمياء بحليف النضال من قبل الانصار، كمنظمة وكحزب، وتشوشت الصورة في أعين الشيوعيين اينما كانوا من تشرين ، في عمق الداخل اوفي اسقاع الخارج على حد سواء ، وأصداء فضاعة الهزة الكارثة مازالت تتردد في كل شهر أيار جدي يمر من كل عام .

ذهب ضحية هذه الواقعة من الانصار 65 شهيدا من بينهم نصيرة واحدة ، و أكثر من 65 نصيرا بمستويات حزبية واختصاصات مختلفة وقعوا في الاسر ، أكثريتهم امضى ستة أشهر ، وقلة منهم خرج في البداية ، بعد وقف

القتال واجراء مساومة تبادل الأسرى بين الطرفين ،

الحرب بطبيعتها بلا شرف و لااخلاقية ، تبرر وتستند على خديعة الطرف الاخر والغدر به اينما حانت الفرصة لتحقيق النصر عليه ، والحزب عندما يضطر الى ان ينزل الى ساحة الحرب مضطرا ، يجب ان لا تغيب عن باله لحظة حقيقة هذه الطبيعة ، لان يحفظه اكمعارف عن ظهر قلب فقط ، بل المفروض الاسترشاد بمعارفه هذه كهادي في كل خطواته وهو في لهيبها ، فالحذر يجب ان يكون متواصلا ، لامن التحرك الواضح للعدو الذي امامه، هذا امر بديهي، بل الشك الدائم بنوايا حلفائه الذين يقفون الى جانبه ومن خلفه ، (وهذا ايضا لم يكن مخفيا عنه) ، و يمتحن مدى تماسك تحالفه معهم امام مغريات المكاسب التي قد تقدمها السلطة لهم بالمقابل، وقد ظهرت هشاشة هذا التحالف عندما كان الثمن هو الحزب الشيوعي .

كل مظاهر وتجليات وفوضى انكسار الجيوش في الحرب كانت واضحة على الانتصار والحزب بعد الخروج من نيران الاحداث ، الهزه فرزت بقوة العناصر التي بقيت متمسكة بالحزب والمنظمة ، عن العناصر التي ارخت قبضتي يديها من مواصلة التمسك ، وتحولوا الى اناس تكاد لاتعرفهم ، وقفت بالطوابير مع المرضى والنساء ووجهها نحو منافذ الخروج للهروب من القيامة التي حدثت ، وهي تترك الساحة بتزاحم افواجا افواجا وعلى ظهورها حقائب حوائجهم الصغيرة . ،

بعد هزة بشتاشان لم يعد بالامكان اخفاء التناقضات والخلافات الخفية التي كانت موجوده فيما بين اعضاء اللجنة المركزية وقيادات الحزب حول عدد من القضايا العقيدية التي منها كما ذكرنا الخلاف في الموقف من الحرب بعد ان تحولت ايران من الضحية المعتدى عليها ، الى مواقع الهجوم والاصرار على مواصلة الحرب بعد ان طردت الجيش العراقي من اراضيها ، فانفجرت الى العلن كل الخلافات الاخرى المتعلقة بهذا التقييم . كاعادة النظر في العلاقة

مجددا بالنظام على اساس الوطن مهدد و هو في خطر ، وضرورة العودة الى احضان النظام ، واحضان الجبهة الوطنية ، كان كل شيء مربك وخارج من تحت السيطرة ،

فملكات النحل التي كانت تقود بدايات الشلل و التكتلات من قيادات الحزب بدأت تشق طريقها نحو الخارج (خارج الحزب وخارج الوطن) تجر من خلفها حاشيتها من زنابيرها الطنانه التي اعتادت ان تطير دوما حولها ،

وبعد هذا الحدث الكبير في حياة الحزب ، عوقبت بعض القيادات على مواقفها الضعيفة في الازمة ، وتسلق بعض القيادات الى مراكز لم يكن يستحقوها ، وقد جرت في هذه الفترة الفوضوية سلسلة من تصفية حسابات قديمه وعملية أذلال البعض ، اتسم بالهستيرية والظلم واللامبداية وعدم العدالة ، الكل مسؤول عنها قيادة وقواعد الانصار ، فالهزة لم تكن هزة عابرة ، بل هزة عميقة جدا طالت الاخلاق والاعراف الحزبية التي كانت و تركت اثارها العميقة على مسيرة الحزب اللاحقة ،

من ايجابياتها التي تذكر ، انها شذبت الحزب و منظمة الانصار من العناصر التي ماعدت بامكانها المواصلة ، وابتقت على النخبة النوعية المجربة في المحن ، التي استمرت الى نهاية الحركة .

ان الحكمة لثما يقولون تأتي للمرء في النهاية بعد فوات الاوان ، وفي ظرف جديد بحيث لايستطيع الاستفادة الشخصية منها ،

ان الزمن اردنا ذلك او لم نرد سيزيل حتما الأثار النفسية العميقة التي تركتها الكارثة ، لاسيما عند الذين عايشوها وكانوا من ضحاياها بدرجات، بهذا الشكل او ذاك ، و ستصبح بالتقادم من التاريخ الذي يروى عن مرحلة صعبة مرت ، هكذا هي قوانين الحياة ، وستحل محلها مصالح اللعب السياسية ، وتحالفات جديدة لجيل ولد بعد احداث بشت آشان مع ابناء خصم الامس وصديق اليوم ،

ولربما عكسه.غدا... الى ما لانهاية ، واذا كانت بشت آشان ننظر اليها
بعيون اليوم كحقيقة مرة عشناها ، فهذه الحقيقة لن تكون كذلك غدا ،

مع تقبل هذه الحقيقة ، ستبقى الأوراق التي سجلت عليها دروس بشت
آشان ، دروس مفيدة تستحق ان نتذكرها ونسترجعها بعقل منفتح ، مادما
نتعامل الى ما لانهاية مع لعبة اسمها سياسة .

توقفت الحركة ، كحركة مقاتلة بعد الانفال وترك الانصار كردستان الى دول الجوار
بلا سلاح ،

مرت على الانصار الشيوعيين في الخارج سنين ثقيلة من الضياع والشعور
بالأهمال والانكسار و اللاهوية وهم يحاولون التأقلم مع الحياة الجديدة ، وبدء
حياتهم من جديد بعد الانقطاع عنها لمدة عشرة سنوات . البدء مجددا من الصفر
بعد طي صفحة الماضي بالنسيان ، قسم منهم بالأبتعاد عن الحزب ، والقسم الاخر
الانكفاء والخمول في صفوف الحزب . والقسمين بقوا محتفظين بنسب مختلفة
بهاجس الاعتزاز بتاريخهم الحزبي والانصاري ، رغم محاولتهم المستمرة لتجاوز
الماضي ، الا انهم بقوا عاجزين عن اخماد جذوة الحنين الى حياتهم الانصارية في
الجبل التي استمرت قوية في اعماقهم ، وتشتد كلما التقى نصيرين في مكان واحد
، فتستعر الذكريات المشتركة مجددا ، والاحاسيس الرفاقية المصرية التي كانت
تشد الانصار بعضهم الى بعض ، وتسموا العلاقة الانصارية على كل العلاقات
الجديدة التي تكونت في الغربية فيما بعد ، بل ان معظمهم لم ينجحوا في خلق
صداقات ثابتة جديدة تشبه الصداقات الحميمة التي ظلت مستمرة بين الانصار ،

وإصبح معيار هذه الصداقات ، هو أساس تشكيل أي علاقة جديدة مع الآخرين .

المستقبل وما ستركه الانصار ورائهم

كانت البداية التفكير بتأسيس رابطة للانصار تجمعهم سنويا في مهرجان يعقد في أحد البلدان التي ينتشرون عليها ، ثم تطورت الفكرة الى رابطة نقابية تطالب بتحقيق حقوقهم رسميا كمحاربين قداماء ، الا ان الرابطة بقيت بشكل اساسي من طموحها ان تكون من مؤسسات المجتمع المدني الديمقراطي التي تحاول لم تشمل الانصار في الوطن وفي كل الشتات في بؤرة واحدة ، وتوفر لهم سبل استمرار مواصلة العلاقات فيما بينهم .

لقد تحقق الكثير من اهداف تشكيل الرابطة ، التي من اهمها الحصول على حق التقاعد للنصير الشيوعي أسوة بالبيشمه ركة ، وفتحت لها موقع هام على الانترنت (ينابيع العراق) الى جانب غرفة على البالتوك بنفس الاسم يجتمع فيها يوميا الانصار مع اصدقائهم كعائلة كما كانوا في الجبل ، وتطورت الغرفة بمرور الوقت الى غرفة حوار يديرها بعض قدامى الانصار يجتمع فيها نخبة ممتازة من المثقفين ، انصار واصدقاء للانصار ، وهي اليوم من الغرف العراقية المهمة على البالتوك .

ان الزمن يعبر سريعا ، وسنة الحياة تحتم مغادرة آخر الأحياء من الانصار فيها في يوم من الايام ، والرابطة عند ذلك تكون قد اكملت رسالتها الزمنية ،

ولكنها تحاول اليوم جاهدة مواصلة المحافظة على شعلة القيم والاخلاق والثقافة التي اوقدها الانصار في الجبل متوهجة فيما بعدهم من خلال استمرار رابطتهم كتنظيم يذكو الاجيال القادمة بتاريخ ومآثر جيل عاش زما صعبا وقدم ضحايا لاتعوض من اجل الحرية والديمقراطية والعدالة ، بتحويلها الى مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني ، تتسع لكل اصدقائها ومناصري افكارها من نخبة المثقفين الذين عاشوا في زمن الحركة ، او جائوا او ولدوا من بعدها .

(ملحق*)

(1)

(شهداء الحركة الانصارية من الفنانين المسرحيين)

- 1- الشهيد ابو يحيى (شهيد عبد الرضا) خريج اكاديمية الفنون الجميلة (سينمائي)
- 2-الشهيد روبرت (خليل اوراها)
- 3-الشهيد ابو كريم
- 4-الشهيد ابو ايار (فؤاد يلدا) فنان تشكيلي قدم من ايطاليا بعد ان قطع دراسته فيها
- 5-الشهيد ابو سرمد
- 6-الشهيد اواميد
- 7- الشهيد هيمن
- 8- الشهيد ابو سلام
- 9- الشهيد جكر خوين
- 10-الشهيد مام علي
- 11-الشهيد كاظم الخالدي - ابو مخلص - استشهد في لبنان عند الاجتياح -

(2)

بيلوغرافيا العروض المسرحيه في القواعد والمفارز الانصاريه

1888 - 1977

- 1- (الميلاد) - تأليف جماعي - أخرج ابو سامر - قدمت في قاعدة بهدنان 5/1/1980 - تمثيل ابو عمار ، ابواحسان، ابوامجد،- الجمهور حضرها 60متفرجا .

2- (بطولات الانصار) - فصلان - أعداد واخراج ابو مخلص - قدمت في بهدنان - عام 1980 .

3- (في ساعه متأخره من الليل) - قصائد ممسرحه لسعدي يوسف - اخراج ابو مخلص - من تمثيل ابو مخلص ويوسف - بهدنان - 1980 .

4- (مشاهد من حياتنا اليوميه) - أعداد واخراج ابوسامر - تمثيل ابو سامر - قدمت في بهدنان - 1980/1/! - الجمهور 45 مشاهدا .

5- (القرار) - تأليف برخت - اخراج ابوسامر - تمثيل ابو سامر ، ابو الوجد، ابو عماد ، ابو أحسان - قدمت في بهدنان - 1980/1/31

6- (بطاقة دعوه للشهداء) - تأليف يوسف الصائغ - أعداد واخراج ابو الصوف - مثلها ابو الصوف - بختيار - زيان - المكان في قاعدة ناوزنك - في 1980/3/31

7- (تداعيات في ليلة راس السنه) - تأليف ابو النور - اخراج يوسف - مثلها يوسف وابو بسيم - قدمت في بهدنان/ السريه الثانيه - 1980/1/1

8- (دم الشهيد) - تأليف ابو النور - اخراج يوسف - مثلها - أم بسيم وابوسامر وابو قتيبه وعشتار وليلى وابو حسين وابوسلام - قدمت في بهدنان في 1981/3/29 واعيدت في 1981/4/1 في موقع يك ماله

9- (الحمار الشاهد) - تأليف ابو الطيب - أخراج ابوسامر - مثلها ابو سامر في 1981 /8/16 في قاعدة بهدنان الجمهور 120 مشاهدا .

10- (كلكامش) - مشهد - ترجمة طه باقر - اخراج ام بسيم - تمثيل ام بسيم وابوكريم - قدمت في بهدنان عام 1980

11- (ضرر التبغ) - تأليف تشيخوف - اخراج وتمثيل ابو صبا - قدمت في بهدنان 1981/5/1 .

- 12- (مخرج فاشل) - اخراج ابو نهران - بهدنان في 1981 .
- 13- (حجام البريص) - تأليف مظفر النواب - اعداد واخراج ابو الصوف - قدمت في ناوزنك - عام 1981 - تمثيل اتبو الصوف
- 14- (قزلىر) - تأليف رياض - اخراج ابو داوود - العرض في ناوزنك - 1981 - تمثيل ابو الصوف
- 15- (قصائد ممسرحه) - سعدي يوسف - اعداد واخراج ابو الصوف - العرض 1981 في ناوزنك
- 16- (قصائد ممسرحه) - تأليف رياض - اخراج ابو داوود - العرض 1981 في بهدنان - مثلها ابو داوود ورياض - الجمهور 120 مشاهدا في عرضين .
- 17- (قصائد ممسرحه) - اعداد واخراج ابو داوود - قدمت في بهدنان 1982 - مثلها ابو داوود وايمان
- 18- (مذكرات نصير) - تأليف منذر - اخراج ابو داوود - شتاء 1982 في بهدنان - تمثيل ابو نهران وأبو آذار
- 19- (الحارس) - تأليف منذر - اخراج ابو داوود - شتاء 1982 في بهدنان - تمثيل ابو نهران وايمان (عرض خاص)
- 20- (حجام البريص) - تأليف مظفر النواب - اعداد واخراج ابوداوود - قدمت في يك ماله 1982 - مثلها ابو داوود - الجمهور 100 مشاهد .
- 21- (جحا والسياسه) - اعداد واخراج ابو الصوف - قدمت في ناوزنك 1982 - تمثيل ابو الصوف وابو يحيى .
- 22- (راشومون) - مشهد - اخراج ابو سامر - قدمت في ناوزنك أيار 1982 - تمثيل

ابو سامر

- 23- (حجام البريص) - تأليف مظفر النواب - أعداد واخراج وتمثيل - ابو الصوف -
قدمت في ناوزنك 1982
- 24- (ليلة السكاكين الطويله) - مشاهد - اخراج ابو يحيى - قدمت في ناوزنك 1982 -
تمثيل ابو الصوف وفرياد
- 25- (سلمان الصكر) - اعداد عواد ناصر - اخراج لطيف حسن - تمثيل ام بسيم وايار
وابوشاكر وسركوت - اعد الديكور الفنان مكي حسين - قدمت في ناوزنك عام 1982
- 26- (ليلة السكاكين الطويله) - (المسرحيه كامله) - أخراج ابويحيى - عرضت في
ناوزنك في 1982 - تمثيل ابو سامر وابوشاكر وام بسيم وايار وابو الصوف
- 27- (قصائد ممسرحه) - شعر سعدي يوسف - أعداد واخراج ابو صبا - عرضت في
بهندان 1982
- 28- (عند الموقد) - تأليف ناظم حكمت - اخراج علي رفيق - خريف عام 1982 في
بشت آشان - تمثيل أم ليث وعائده وآشتي وابوسامر وشوان - قدمت في سبعة
عروض ، في بشتآشان العليا وبشت آشان السفلى وقرناقو وبيانا و بولي وأشقولكا
ومركز الاعلام . حضرها اكثر من 350 متفرجا .
- 29- (يوميات نصير) - اعداد واخراج ابوداوود - عرضت في كوم ات ه / بهندان عام
1983 - تمثيل ابو داوود وشوان - (عرضت مرتين) - حضرها 150 متفرجا .
- 30- (موت وحياة احمد بن سعيد) - شعر سعدي يوسف - اعداد واخراج وتمثيل ابو
اروى - عرضت في كوماته - بهندان 1983 - حضرها 100 متفرج
- 31- (بنادق الأم) - تأليف برخت - اعداد واخراج ابو داوود - العرض في كلي زيوه -
بهندان في 1983 - تمثيل سميره وابوسامر وسمير وناشتي - الجمهور 80 متفرجا

- 32- (مخرج فاشل) - اعداد واخراج ابو نهران - العرض في قرية زاخو- ابو ظفر وابوسرمد
- 33- (نحن العمال) - اخراج ابو داوود -العرض في بهدنان في ايار 1983
- 34- (السجين) - اعداد واخراج ابوسامر - قدمت في بهدنان في 17/11/1983 - تمثيل نشتمان وابوسامر- حضرها 60 مشاهدا
- 35- (الجلاد في ليله مقمره) - تأليف زهير الجزائري - اخراج نضال عبدالكريم - قدمت في بشت آشان 1983 -تمثيل نضال عبدالكريم وجاسم خلف .
- 36- (كلكامش) - مشهد - تأليف طه باقر - اخراج أم وسيم - عرضت في بشت آشان في 1983 - جاسم وام بسيم
- 37- (درس في الأملاء) - تأليف جوهر مراد - اخراج سر كوت - عرضت في بشتآشان 1983 - تمثيل سر كوت وسفين وباسم وام سوزان - (باللغه الكرديه)
- 38- (تحت اعواد المشانق) - اعداد واخراج وتمثيل نضال عبد الكريم - العرض في بشت آشان عام 1983
- 39- (في غرف التعذيب) (امرأه من هذا الزمان) تأليف ابو النور - اخراج يوسف - العرض في بشت آشان 1983/3/10 -قدمت بمناسبة يوم المرأه - تمثيل يوسف وعشتار وابو عشتار (قدمت مرتين)
- 40- (مفرزه قتاليه) - مشهد - تأليف ابو النور - اخراج وتمثيل يوسف - عرضت في بشت آشان 1983
- 41- (سكيجات كوميديه)تأليف ابو ايار - اخراج ابو داوود - مثلها سمير واشتي وابو سامر وآخرون - قدمت في بشت آشان 1983
- 42- (سمك القرش) عن برخت - اخراج لطيف حسن - في بشت آشان عام 1983 -

تمثيل عشتار وابوواثق - تم التدريب عليها ولم تعرض

43- (قصائد ممسرحه) شعر سعدي يوسف - اعداد و اخراج جاسم خلف - العرض في
بشت آشان 1983

44- (كاوه الحداد) - (العرض في دوكان قدمتها سرية بتوين - الجمهور 400 متفرج
من قرى جناران وميوزظو وعالقه - باللغه الكرديه - قدمت بمناسبة نوروز

45- (الطاغيه)- تولىف من الشعر الكردي - اخراج روبرت - مثلها انصار الفوج الأول
- قدمت في بهدنان 1983

46- (ضجيج الغجر) - قصيده لبوشكين - اعداد لطيف حسن- اخراج علي رفيق -
المكان لولان عام 1984 - تمثيل سمر وجاسم خلف وحسن ولطيف حسن وابو صبا
- تم التدريب عليها ولم تقدم .

47- (كاوه والتنين) اعدادا و اخراج ابو داوود عن نص كردي - العرض في كاني زيوه
/ بهدينان 1984 - مثلها انصار جود امام 250 متفرجا

48- (البدايه والتكوين والمسيره) - شعر سعدي يوسف - اعداد و اخراج ابو اروى -
العرض في كاني زيوه / بهدنان 1984 - الجمهور 300 متفرج - تمثيل ابو اروى
وسامي وسمير وابوسامر وفرات - الجمهور 300 متفرج

49- (القاعده) - تأليف و اخراج وتمثيل ابو اروى - العرض في كاني زيوه / بهدنان -
قدمت مرتين) - الجمهور 150 متفرجا

50- (قصائد ممسرحه) شعر سعدي يوسف - اعداد و اخراج جاسم خلف - مكان العرض
لولان 1984 - تمثيل سمر جاسم علي رفيق ولطيف حسن - قدمت بمناسبة يوم المسح
العالمي في 3/27 - الجمهور 50 متفرجا

51- (ضجيج الغجر) - عن بوشكين - اعداد لطيف حسن - اخراج ابوداوود - قدمت

في كلي زيوه / بهدنان - مثلها ابو اروى وعشتار وسمير و ابو سامر و ابو داوود
وسامي - (عرضت ثلاث مرات) الجمهور حوالي 200 متفرج

52- (انهم يقتلون الصمت) - تأليف محسن على عبدالله - اخراج ابوسامر - العرض
في بهدنان 1984 - مثلها ابو نهران وسمير وام نصار - الجمهور 100 متفرج

53- (كاهو الحداد) - مشهد- تأليف شيركو بيكس - اخراج ابو الزهر وبنياذ - العرض
في بيمان 1984 - مثلها كاروان وحسن فقي

54- (الحلم) - تأليف وأخراج ابو النور - العرض في بيمان 1984 - مثلها ابو كوران
وابو قيس و ابو قاسم و ابووسام وبنياذ ورييوار وثائر و ابو مصطفى - تم التدريب عليها
ولم تقدم

55- (الشهيد) - مسرحيه صامته في 11لوحه - تأليف و اخراج عدنان اللبان - العرض
في السليمانيه 1984 - تمثيل ابو الفوز و ابو احمد وفاضل و علي وهيووا - عرضت
في مقر القاطع والفوج التاسع

56- (المناضل) - سكيچ - تأليف و اخراج عدنان اللبان - السليمانيه 1984 - تمثيل ابو
احمد و ابو الفوز وفاضل - عرضت في مقر القاطع والفوج التاسع

57- (مخرج فاشل) - اخراج ابو فائز - العرض في 1984/3/21 في كيشان - مثلها
خمسة أنصار باللغه الكرديه

58- (القتل 9 - قدمت في 1984/3/31 في كيشان - اعد العمل مجموعه من الانصار

59- (القرار) - برخت - الأخراج جماعي - في قاعدة لولان 1985 - تمثيل سمر
وابوعشتار و ابو جهاد وحسن واوميد - الجمهور 55 متفرجا - قدمت بمناسبة يوم
المسرح العالمي

60- (الأغا) - تأليف و اخراج ابو كفر - العرض في بهدنان من قبل مجموعه من بيشمه

ركة حدك

- 61- (سقوط الدكتاتوريه) - تأليف واخراج طيار - قدمت في بهدنان 1985 - تمثيل
مجموعه من بيشمه ركة حدك
- 62- (محاورات برختيه) - عن برخت - اخراج ابو اروى - العرض 1985 في بهدنان
- تمثيل ابو اروى وابو سامر - تم التدريب عليها ولم تقدم
- 63- (شهادات اوليه عن بشت آشان) - تأليف وتمثيل ابو اروى - بهدنان 1985 -
الجمهور 50 متفرجا
- 64- (القرار) - اعداد عن برشت ابو اروى - اخراج ابو سامر - بهدنان 1985 - تمثيل
ابو نهران وابو اروى وسميره وام نصار وسامي وابو سامر - تم التدريب عليها ولم
تعرض
- 65- (يوميات) - تأليف واخراج ابو النور - خواركوك 1986 - تمثيل مام علي
وزمناكو وراويز وابو النور وخسرو وصباح وجلال ومله ها دي وعمر وفريق
وسعيد ومجموعه من اهالي قرية شيخان - قدمت بمناسبة نوروز بحضور 150
متفرجا
- 66- (واحد على ميه) - تأليف واخراج عدنان اللبان - بهدنان 1986 - تمثيل سمير
وابوفانز وشهله وابوعسكر ورزوقي وابوسيف وابوآثير وام نصار - قدمت في خمسة
عروض
- 67- (الوباء) - تأليف واخراج عدنان اللبان - بهدنان 1986
- 68- (الليالي البيضاء) عن - ديستوفسكي اخراج على رفيق - العرض في ميركه روك
1986 بمناسبة يوم المسرح العالمي - تمثيل سمر وابو عشتار - الجمهور 70 متفرجا
- اعيد عرضها في ارموش في نفس العام - حضرها 50 متفرجا

- 69- (حرب في متحف ألبرادو) - تأليف رافائيل اليرتي - اخراج ابو اروى - لولان
1986 - تمثيل ابو اروى وابو آمال - الجمهور 30 مشاهدا - مع مقدمه عن الشاعر
قدمها ابو حاتم
- 70- (الغرفه) - تأليف واخراج عدنان اللبان - بهدنان 1986 - مثلها علي الحكيم
وفرهاد وابو خالد وابو سيف ووصفي وابونصار
- 71- (القرار) - تأليف برخت - اخراج سمر - العرض بهدنان 1987- مثلها سمر وعائيد
وابو اذار وافاق
- 72- (تأليف واخراج) - عدنان اللبان - العرض في بهدنان 1987 - شهله وسمير وسعا
وابو فائز والطفله مسار وابو اذار - قدمت في ثلاثة عروض
- 73- (مغامرات رجل غامر صوب البحر) - عن رواية واسيني الاعرج - اعداد واخراج
حيدر ابو حيدر - العرض الفوج الاول بهدنان 1987 - تمثيل روبرت ووبلقيس
وعادل وحيدر ابو حيدر - الموسيقى ابو فاتن - الاناره ابوسام - المكياج ابو ايار
- 74- (المحنه) - تأليف واخراج عدنان اللبان - العرض الفوج الاول ب هدنان 1987 -
تمثيل روبرت وابوطالب وامل وابو ايار ود.باسل وكوران - الديكور والماكياج ابو
ايار - الموسيقى ابو طالب
- 75- (الحنه) - تأليف واخراج عدنان اللبان - العرض الفوج الاول بهدنان 1987 -
تمثيل امل وابوطالب ود.باسل و وبلقيس وروبرت وابو ايار والطفل بسيم - الديكور
والماكياج ابو ايار - الموسيقى ابو طالب
- 76- (روح اليانورا) تأليف لوناتشارسكي - اخراج علي رفيق - العرض في خواركوك
1987 - تمثيل ابو العوف وابو كاوه وليلى - عرضت خمسة عروض في خمسة قواعد
اخرى فيما بعد - الجمهور 200 متفرج
- 77- (من هناك) - تأليف وليم سارويان - اخراج حيدر ابو حيدر - العرض الفوج الأول

- بهدنان 1987 - مثلها سمر وحيدر ابو حيدر - جهاد وخالد - الموسيقى ابو وجود -
الديكور والماكياج ابو ايار
- 78- (من هناك) وليم سارويان - اخراج سمر - العرض في زيوه بهدنان 1987-
تمثيل سمر وابو سامر
- 79- (لة الموتى في زمن الحرب والفوضى) - معده عن قصيده طويله لابو طالب -
اعداد واخراج حيدر ابو حيدر- عرضت في الفوج الاول بهدنان 1987 -تمثيل حيدر
ابو حيدروابو فاتن ود. باسل وكوران وابو طالب - الماكياج ابو ايار - الجمهور 300
متفرج
- 80- (كاوه الحداد) - اخراج طيار -عرضت في كاني مازن بهدنان 1987 - المناسبه
عيد نوروز حضرها 2000 متفرج - باللغه الكرديه - مثلها ببشمه ركة حدك
- 81- (ثورة كاوه) تأليف ابو ليث - قدمت في خواركوك 1988 - تمثيل مام علي
وببشمه ركة حدك وانصار حشدك وفلاحو قرى شيخان وكولان كرد وخرنه
عرضت في الهواء الطلق حضرها 400 متفرج - باللغه الكرديه
- 82- (كيف تركت السيف) - تأليف ممدوح عدوان - اخراج علي رفيق - العرض
خواكورك 1988- تمثيل ابو فائز وابوصبا ود. مريم ومصطفى وابو كاوه ووام ليث -
الجمهور 250 متفرجا - قدمت في ست مواقع انصاره
- 83- (الدكتاتور) - اعداد واخراج ابو الحق - العرض في كلكا بهدنان 19 88- تمثيل
جيهان والحجي وابو الحق - الجمهور 1000 متفرج
- 84- (الخرفه) - تأليف واخراج عدنان اللبان - العرض في الفوج الاول بهدنان 1988 -
تمثيل ابوطالب وناصر وسمير وباسل
- 85- (الحنه) تأليف واخراج عدنان اللبان - العرض في كافيا بهدنان 1088 -تمثيل
عدنان اللبان وثائر وناديه وبولا واوات ووابوعمار وزمناكو وظافر - الجمهور 50

متفرج

- 86-(واحد على ميه)- تأليف واخراج عدنان اللبان - عرضت في كافيا بهدنان - تمثيل زمناكو وناديه وبولا ونهاد واثار وآوات والطفله زينا - الجمهور 150 متفرج
- 87-(القفص) - تأليف حميد السراج - اعداد واخراج وتمثيل روبرت - عرضت في الفوج الاول بهدنان 1988
- 88-(بطاقات للشهداء) - اعداد واخراج بختيار - العرض الفوج الاول بهدنان 1986 - تمثيل بختيار وبلقيس - حضرها 200 متفرج
- 89- (حكاية المواطن طه) - تأليف ابو النور - اعداد واخراج حيدر ابو حيدر - عرضت في الفوج الاول بهدنان 1986 - تمثيل حيدر ابو حيدر ومهند وزاخاروف ومناضل - الجمهور 300 متفرج - اعيد تقديمها في اوردكاه خوي في نفس السنه ومثلها حيدر ابو حيدر وابو طالب وهوبي ومنذر
- 90-(تعالوا نقدم مسرحيه) - تأليف واخراج ابو الفوز - العرض الفوج الثالث بهدنان 1986 -مثلها ابو الفوز وشهله والحجي وابو اشور ود . ابو تضامن وابو سناء وابو صمود ومنار والطفله هيلين - الجمهور 400 متفرج
- 91-(غرام في أفوكي) - لوحات ساخره انتقاديه لمفاهيم الحياة اليوميه الانصاريه - تأليف واخراج ابو الفوز - العرض في الفوج الاول بهدنان 1987 - مثلها ابو طالب وابو الفوز
- 92-(كتاب الغصون) -قصائد لسعدي يوسف - اعداد واخراج ابو الفوز - قدمت في الفوج الاول بهدنان 1988 مثلها كنار وام امجد وابو الفوز
- 93-(الدواره) - اوبريت غنائي - تأليف حيد ابو حيدر - اخراج ابو الفوز - العرض في الفوج الاول بهدنان - تمثيل كريم وابو الفوز وخيري مع ثلاثة عشر طفلا من ابناء الانصار والشهداء - الجمهور 300 متفرج - عرضت ثلاث مرات - الفرقة الموسيقيه

عامر وكوفان وسمير - لاناره ابو حسن - المكياج ابو ايار وسربست - الملابس ام
امجد

94- (الصهيل والمطر) - عن قصائد سعدي يوسف ومظفر النواب وبدر شاكر السياب
وكامل الركابي - اعداد واخراج ابو الفوز - قدمت في الفوج الاول بهدنان 1988 -
تمثيل ابو الفوز وكنار وام امجد وآفاق وبلقيس - الجمهور 250 متفرج

95- (المدينة) تأليف واخراج روبرت - العرض في الفوج الاول بهدنان 1984 - تمثيل
جكرخوين وشيروان وفرهاد وكسر وابوسامان - الجمهور 500 متفرج - قدمت في
الهواء الطلق ورتب الانصار المكان على شكل المسرح الروماني - باللغه الكرديه

96- (الدكتاتور) - تأليف واخراج روبرت - العرض في الفوج الاول بهدنان 1986 -
تمثيل روزكار وشيروان وشيفان وابوسامان وكاوه وزيا - الجمهور 500 متفرج

(*) - (أعد هذه الببليوغرافيا عن الاعمال المسرحية المقدمه في قواعد ومفاز
الانصار ، الزميل الفنان علي رفيق - منشورة في مجلة الثقافة الجديدة - العدد/
1990- 228)